
المكتبة العربية
دكتور
احمد
تليفاكس: ٠٣٥٣٥٤٤٣٨ إسكندرية

المكتبـــة العربيـــة

المكتبـــة العـــربيـــة

د. أحمـــد عـــويـــن

كمبيوتر : دار الوفــاء

الطباعة : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنوان : ش ملك حفنى ، قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن دربالة أمام بلوك ٣

الرقم البريدى : ٢١٤١١ فيكتوريا ــ اسكندرية

رقم الإيـــداع : ١٦٤٩٤ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى :9 - 109 - 327 - 977

المكتبة العربية

الدكتور

أحمد عوين

تقديم

الأستاذ الدكتور

زين كامل الخويسكى

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - إسكندرية

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله الذى نزل عليه أشرف كتاب، محمد (ﷺ) وبعد.

إن التعرض للتأليف فى مجال المكتبة العربية مركب وعر لمن يمتطيه، ذلك لتعدد الكتب وكثرة التصانيف، وامتداد قرون التأليف والترجمة العربية، إضافة إلى تشعب العلوم التى توضح فيها التصانيف واختلاف مشارب أصحابها، مما قد يوقع المتعرض لهذا المجال فى حيرة من ناحية واضطراب من ناحية أخرى، وهو - فى هذا وذاك - له عذره الذى يعرفه العالمون بما ينتاب المكتبة العربية.

ولكن الحق الذى لا مرية فيه أن الدكتور أحمد محمد محمد عوين - صاحب هذا الكتاب - قد ابتعد كثيرا عن هذا الاختلاط، وإن اشتممت أنه وقع فى الحيرة التى يقع فيها الباحثون فى مجال المكتبة العربية عند اختياره منهجه ومصنفاته التى أقام عليها درسه، لكن الحق أن منهجه فى ذلك واضح ومنظم ودقيق، حيث نجده يلتزم منهجا واحدا من أول الكتاب إلى آخره دون عدول أو خلل، إضافة إلى نماذجه الجيدة المختارة بعناية الباحث الواعى المسيطر على أدواته.

والجدير بالذكر أنه أشار إشارات جامعة إلى كثير من مصادر المكتبة العربية فى مقدمات فصوله مع التركيز على بعض النماذج التى أهملها كثير من الدارسين الذين تصدوا للتأليف فى مجال المكتبة، مثل شرح السيوطى على ألفيته المسماة بالفريدة التى عنى بشرحها وتحقيقها أستاذنا أ. د. طاهر سليمان حمودة، كما عنى بدرس شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك الذى أشرف بأننى لى عليها شرح أقمته من منظور حديث ١٩٩٦م وغير ذلك من اختيارات د. أحمد عوين الجيدة.

وأخيـــرًا: أتمنى أن يكون هذا الكتاب سراجًا ينير الطريق أمام راغب المعرفة فى أثناء سيره بين دروب المؤلفات التراثية التى لا يمكـــن لبـــاحث إحصاؤها، والله المستعان.

أ. د. زين كامل الخويسكى

أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية

جامعة الإسكندرية

مقدمـة

ليس من شك في شرف القراءة و الدرجة السامقة التى تتربع عليها و تستطيع خلالها تشكيل وجدان القارئ و توجيه فكره و اعتقاده وجهة ما . و كلما كان الكتاب شريفا فى مادته و صاحبه أمينا فى نقلها على أجنحة أفكاره هابطا بها داخل وجدان القارئ و فكره وقع تأثيره قويا على عقول القراء ، ومن ثم يمكن أن يشكل كتاب ضمير أمة بأثرها .

و ليس من شك كذلك فى أن كتاب الله العزيز هو أشرف الكتب . إذ غير وجهة التاريخ كله . و انتقل بأمة العربان من جاهلية الجهلاء و كفر بين و تخبط أعمى . إلى النور و الضياء الذى يسلكون – مستنيرين بهداه – سبل الإيمان و طرق العلم و المعرفة و أسباب الفلاح فى الدنيا والآخرة.

لذا كان القرآن الكريم ذا أثر كبير فى حياة العرب و فكرهم . بل كان القرآن هو الدافع الرئيسى وراء نشأة العلوم العربية المختلفة ، و إذ إنها – فى مجملها – نشأت لخدمة القرآن الكريم ، بل كانت فى البداية مرتبطة به ارتباطا وثيقا لا تدرس إلا من أجل فهم معانيه و الوقوف على مواطن الإعجاز الإلهى البادية فى كل حرف من حروفه المضيئة .

و من ثم كثرت الكتابات العربية الإسلامية التى وصلنا بعضها وضاع كثير منها، و كثرة هذه التصانيف توقع الدارس – لا محالة – فى حيرة شديدة فى أثناء اختياره نماذج الكتب و المصنفات التى يضعها بين أيدى طالبى العلم فى تراثنا العربى ، وهى كثيرة بالرغم مما ضاع منها ، و مع ذلك فما تبقى أيضا كثير ، و الدارس محكوم بأمور لا يستطيع الفكاك من أثرها .

و إننى فى هذا الكتاب المتواضع لا أستطيع – و لا يستطيع غيرى – أن أقدم للمكتبة العربية قاطبة . و من ثم كان على أن أختار النماذج التى أقوم بعرضها و درسها ، و من هنا تقع الصعوبة . و لا يستطيع أحد أن ينكر ما كان لهذه المصنفات – سواء المختارة فى هذا الكتاب و غيرها – من أهمية و تأثير على طول تاريخ العرب والمسلمين . و هذا الجهد الذى قام به المصنفون واضح لا مراء فيه فى جميع مجالات الحياة . فنجدهم قد صنفوا فى علوم القرآن التى تعنى بالنص القرآنى وما

يدور حوله من قضايا و ما يثيره من مسائل ، و صنفوا فى الحديث النبوى الشريف جمعاً و تصنيفاً و شرحا . كما صنفوا فى علوم اللغة و الأدب و البلاغة و النقد والفلسفة و التاريخ و الفلك و القانون بل صنفوا فى الطب و الهندسة و الكيمياء ...... الخ .

و هذا كله – لا محالة – يلعب دوراً حضارياً كبيراً مما لا يستطيع معه دارس للحضارة العربية الابتعاد عن هذه المصنفات التى تعطيه صورة كاملة عن تلك الحضارة و التطور المستمر الذى شهدته .

و مهما يكن من أمر فإن هذه المصنفات على اختلافها و تعددها و تباين مؤلفيها تحكمها خاصتان أساسيتان ، فهى تنقسم فى الأساس قسمين (مصنفات ذات طابع موسوعى تحتوى على أبواب فى شتى فروع المعرفة ، و مصنفات تأخذ شكل الطابع المتخصص و المنهج المحدد الواضح) (1) .

و على الرغم من أن هذا التقسيم صحيح فى مجمله فإننا نختلف معه من بعض الوجوه ، و هذا لما وقع من بعض الدارسين من خلط بين أقسام هذه المصنفات و إدخال بعضها فى أبواب ليست منها ، لذا آثرت أن أقسم هذه المصنفات تقسيماً معتمداً على ظاهر موضوعها و المجال الذى يعنى صاحبها بدرسه ، فقسمت هذا الكتاب أربعة فصول ، الفصل الأول فى مصادر علوم القرآن الكريم والثانى فى مصادر علوم اللغة و المعاجم العربية ، و الثالث فى

مصادر الأدب بمفهومه الموسوعى و النقد و البلاغة ، و الرابع فى مصادر الشعر القديم.

لا يفوتنى فى النهاية أن أعطى كل ذى حق حقه و أرد الفضل إلى أهله ؛ فأتقدم بخالص الشكر و العرفان بالجميل إلى أستاذى أ . د . زين كامل الخويسكى على تفضله و تقديمه هذا الكتاب المتواضع ، كما أشكر أخى د . محمد أبو شوارب على مجهوده الضخم الذى بذله من أجل إخراج هذا العمل على هذه الصورة . كما أشكر أخى د . عامر أبو عميرة على مساعدته لى و استعانتى بمكتبته دون ملل منه و لا سأم .

و إنى فى ذلك أبتغى فضلا من الله و نعمة . و الله المستعان .

د / أحمد محمد محمد عوين

العريش فى الثانى من رجب ١٤٢١ هـ

الثلاثين من شهر سبتمبر ٢٠٠٠ م

الفصل الأول

مصادر علوم القرآن و التفسير

تجدر الإشارة في مستهل هذا الفصل إلى أعرق كتاب وضع للمسلمين و هو القرآن الكريم أو التنزيل العزيز أو الفرقان الذى فرق بين الحق و الباطل . و سمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها و لأنه جمع القصص و الأمر و النهي و الوعد و الوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . (٢)

وكان النبي (ص) حريصاً كل الحرص على حفظ القرآن بصدره وتحفيظه أصحابه . وكان يعرضه على جبريل مرة كل عام ، أما العام الذى قبض فيه فقد عرضه مرتين على جبريل عليه السلام ليثبته الله في قلبه ويحميه من الخطا أو التحريف ، ولم يقف النبي (ص) عند حد الحفظ وإنما حرص على أن يجمع حوله كتبة الوحي وقد كان بتوقيف من جبريل عليه السلام يخبر كتبة الوحي ويدلهم على موضع كل آية ، وترتيب كل سورة ، على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وإذا ما انتهى كتاب الوحي من أمرهم سلموه الرسول (ص) ليودعه في بيته .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما قام به أبو بكر الصديق عن طريق تكليف زيد بن ثابت بجمع القران ، وما وضعه من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان الذى جمع القرآن و وضعه لأول مرة بين دفتي كتاب (المصحف) جزمنا - دون شك - أن جمع المصحف هو باكورة صناعة المكتبة الإسلامية وفق منهج علمي سديد سبق منهج المعاصرين ، بانتقال هذه المكتبة الإسلامية من الذاكرة الواعية الحافظة ، إلى الصحيفة الخالدة ، في حرص شديد على

تجميل المصاحف وإبرازها في صورة أنيقة في خطها وصورتها العامة .(٣)

وانطلاقا من هذه البداية تتابعت المصنفات المختلفة تدرس القران من جهات مختلفة و شكلت مكتبة ضخمة زاخرة غنية بالمؤلفات والدراسات حتى يومنا هذا ، وقد تنوعت هذه الدراسات عل اختلافها وتعددها لترسى قاعدة صناعة الكتاب الإسلامي ، وتنوعت موضوعات الدرس فيها بين النحو والبلاغة والتفسير ودراسة بعض القضايا المتعلقة بالكتاب المبين كالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه ، وغير ذلك .

ونحاول فيما يأتي دراسة بعض المصنفات التي عنيت بدرس بعض قضايا الكتاب المبين إضافة إلى تفسيره.

١ - الجامع لأحكام القرآن

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى



التعريف بالمفسر : -

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى الخزرجى الأندلسى القرطبى .

المفسر كان من العلماء العاملين الزاهدين فى الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة و كانت أوقاته كلها فى العبادة و التصنيف و ما ينفع الناس و ينفعه(٤)

و القرطبى — كما هو معروف — عاش حياته بالأندلس وكان من أكبر علماء التفسير فيها . و قد امتاز أهل الأندلس بشغفهم بالعلم و رغبتهم فى المزيد منه و قد ساند ذلك اعتزازهم بدينهم فكان أهم ما قام به علماؤهم حرصهم على حفظ تفاسير القرآن بعيدة عن الإسرائيليات كتلك التى دسها (عبد الله بن سلام) . و (كعب الأحبار) و غيرهما (٥) وظل الإمام (القرطبى) يحيا فى هذه البيئة العلمية المستمسكة بكتاب الله تعالى و الحريصة على تفهم معانيه و تدبر أوامره و نواهيه ، إذ كان مستقراً بمنية ابن الخطيب ، و توفى و دفن بها ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة إحدى و سبعين و ستمائة من الهجرة (٦) .

و قد تعددت شيوخ الإمام القرطبى الذين درس على أيديهم و نقل منهم و سمع منهم ؛ فقد سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى بعض شرحه (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم) و حدث أيضاً عن الحافظ أبى الحسن على بن محمد بن على حفص التجيب(٧)

مصنفاته : -

١ - كتاب الآسنى شرح أسماء الله الحسنى .

٢ - كتاب التذكار فى أفضل الأذكار .

٣ - التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة .

٤ - شرح التقصى .

٥ - قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة .

٦ - الانتهاز فى قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز .

٧ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان .

و الكتاب الأخير من هذه التصانيف هو الذى نشغل بدرسه فى هذا المقام و هو من أجل التفاسير و أعظمها نفعاً . و قد أسقط منه المفسر بعض القصص و التواريخ الزائفة و أتى بدلاً منها بأحكام القرآن و استنباط الأدلة و ذكر القراءات و الإعراب و الناسخ و المنسوخ ...... الخ .

منهجه فى التفسير :-

اختلف المفسرون لكتاب الله المبين فى تفاسيرهم المختلفة و تباينت طرقهم فى تناول الآيات بغرض الوصول إلى مراد الله تعالى من وراء كلماته المنيرة فمنهم من يفسر بحديث مأثور عن رسول الله (ص) و منهم من ينكر الحديث و يضعفه و يفسره برأيه حسب أصول اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم - و الإمام القرطبى كان وسطاً بين الطرفين فقد كان يجمع فى تفسيره بين المأثور و بين التفسير بالرأى .

وقد وضع القرطبى لنفسه منهجاً فى كتابه هذا فهو يقول فى المقدمة :-

" و شرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها و الأحاديث إلى مصنفها فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف إلى قائله و كثيراً ما يجئ الحديث فى كتب الفقه و التفسير مبهماً لا يُعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث تبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم و معرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به و لا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام و الثقات المشاهير من علماء الإسلام . ونحن نشير إلى جمل من ذلك فى هذا الكتاب و الله الموفق للصواب . وأضرب عن كثير من قصص المفسرين و أخبار المؤرخين الاما لابد منه ولا غنى عنه للتبيين و اعتضتُ من ذلك تبيين آى الأحكام بمسائل تفسر معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها . فضمنت حكما أو حكمين فما زاد مسائل تبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب و الحكم فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل هكذا إلى آخر الكتاب(٨) و قد التزم الإمام القرطبى رحمه الله هذا المذهب إلى حد كبير و هذا لا يمنع من حدوث

بعض المخالفة لهذا المنهج فإنه رحمه الله خالف أحيانا ما اشترطه على نفسه من البعد عن قصص المفسرين و أخبار المؤرخين والإسرائيليات الكثيرة الموجودة فى كتب التفسير فقد أورد فى كتابه كثيراً منها رغم عدم حاجة الكتاب إليها إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة هذا الكتاب العلمية ولا من قيمة الإمام القرطبى فلكل جواد كبوة و لكل حسام نبرة وربما نلتمس له بعض العذر إذا علمنا أن هذه القصص و الإسرائيليات كانت ثقافة عصره الذى نشأ فيه و كان ذلك سائداً آنذاك على ألسنة كثير من الناس والعلماء على السواء و تتضح مزايا هذا التفسير إذا عقدنا مقارنة بينه وبين غيره من التفاسير كتفسير الإمام (فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن الحسين والإمام الطبرى والإمام ابن كثير وغيرهم من العلماء الأفاضل فالإمام الفخر الرازى كتب فى القرآن تفسيراً عظيماً جمع فيه كما جمع غيره واهتم بإيراد مسائل الكلام والإمام الطبرى اهتم بذكر الأسانيد ليبين أن تفسيره ليس عن هوى أو عصبية وتوسع فى توجيه القراءات والإمام ابن كثير كان من أهل الحديث والفقه فنقد الروايات الضعيفة وبين سبب ضعفها و هكذا تعددت طرق التفسير لدى الأحكام الفقهية والبحث عن الرأى الصحيح بين الآراء . (٩) .

و بعد نحاول أن نجمل أهم السمات التى تبرز بوضوح فى تفسير الإمام القرطبى ، والتى كان حريصاً عليها كل الحرص على النحو الآتى : -

١ - كان يجمع فى تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .

٢ - كان يرفض فى تفسيره آراء الروافض وينتصر لآراء أهل السنة والجماعة .

٣ - كان يرفض منهج المعتزلة فى التفسير لمخالفته لمذهب أهل السنة والجماعة .

٤ - كان يذكر آراء المذاهب السنية عند تفسير آيات الأحكام الفقهية كآيات الصلاة والزكاة و غيرها .

٥ - يفسر الآية ثم يرجح الرأى الذى يختاره و يناقش الآراء الأخرى ويضعفها و أحيانا يقوى مذهب الإمام مالك إذا كان له دليل راجح لأنه كان مالكى المذهب .

٦ - نقد المتصوفة و فند ما كان له من آراء بين أنهم قد ابتدعوا فى الدين ما لم ينزل به الله من سلطان .

٧ - كان يحرص على إسناد الأقوال إلى اصحابها متحريا الدقة فى الإسناد .

٨ - كان حريصاً على نسبة الآراء الفقهية إلى أصحابها .

٩ - ابتعد فى كثير من المواطن عن الإسرائيليات ، وإن وقع فى بعضها أحياناً .

١٠ - كان يعنى بالجوانب اللغوية و يستشهد على ما يقول بعيون الشعر العربى .

نموذج من تفسير القرطبى

قوله تعالى :

﴿ و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو ألد الخصام ﴾ ٢٠٤.

فيه ثلاث مسائل :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ و من الناس من يعجبك قوله ﴾ لما ذكر الذين قصرت همتهم على الدنيا - فى قوله :﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ﴾ (البقرة : ٢٠٠)- و المؤمنين الذين سألوا خير الدارين ذكر المنافقين ، لأنهم أظهروا الإيمان وأسروا الكفر . قال السدى وغيره من المفسرين : نزلت فى الأخنس بن شريق ، واسمه أُبى ، والأخنس لقب لُقب به ، لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بنى زُهرة عن قتال رسول الله ﷺ ، على ما يأتى فى " آل عمران " بيانه . وكان رجلاً حلو القول والمنظر ، فجاء بعد ذلك إلى النبى (ﷺ) فأظهر الإسلام و قال : الله يعلم أنى صادق ، ثم هرب بعد ذلك ، فمر بزرع لقوم من المسلمين و بحمر فأحرق الزرع و عقر الحمر . قال المهدوى: وفيه نزلت ﴿ و لا تطع كل حلاف مهين ﴾ ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾(ن : ١٠ ، ١١) و﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ (الهمزة : ١) . قال ابن عطية : ما ثبت قط أن الأخنس أسلم . وقال ابن عباس : نزلت فى قوم من المنافقين تكلموا فى الذين قتلوا فى غزوة الرجيع فى قوله ﴿ و من الناس من يشرى نفسه إبتغاء مرضاة الله ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء : نزلت فى كل مبطن كفراً أو نفاقا أو كذباً أو إضراراً ، وهو يظهر بلسانه خلال ذلك ، فهى عامة . وهى تشبه ما ورد فى الترمذى أن بعض كتب الله تعالى : إن من عباد الله قوما ألسنتهم احلى من العسل

وقلوبهم أمر من الصبر . يلبسون للناس جلود الضأن من اللين . يشترون الدنيا بالدين . يقول الله تعالى : أبى يغترون . و علي يجترئون . فبى حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران .

و معنى ((و يشهد الله)) أى يقول : الله يعلم أنى أقول حقاً . و قرأ ابن محيصن ﴿ و يشهد الله على ما فى قلبه ﴾ بفتح الياء و الهاء فى ((يشهد)) ((الله)) بالرفع ، و المعنى يعجبك قوله ، و الله يعلم منه خلاف ما قال . دليله قوله : ﴿ و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (المنافقون : ١)

و قراءة ابن عباس ﴿ و الله يشهد عل ما فى قلبه ﴾ . وقراءة الجماعة أبلغ فى الذم ، لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ، ثم ظهر من باطنه خلافه . و قرأ أبَى و ابن مسعود ﴿ و يستشهد الله على ما فى قلبه ﴾ وهى حجة لقراءة الجماعة.

الثانية : قال علماؤنا : و فى هذه الآية دليل و تنبيه على الاحتياط فيما يتعلق بأمور الدين و الدنيا ، و إستبراء أحوال الشهود و القضاة ، و أن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال الناس و ما يبدو من إيمانهم و صلاحهم حتى يبحث عن باطنهم ، لأن الله تعالى بَين أحوال الناس ، و أن منهم من يظهر قولاً جميلاً و هو ينوى قبيحاً .

فإن قيل : هذا يعرضه قوله عليه السلام : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) الحديث ، وقوله : ((فأقضى له على نحو ما أسمع)) فالجواب أن هذا كان فى صدر الإسلام ، حيث كان إسلامهم سلامتهم ، و أما وقد عم الفساد فلا ، قاله ابن العربى .

قلت : والصحيح أن الظاهر يعمل عليه حتى يتبين خلافه . لقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى صحيح البخارى : أيها الناس ، إن الوحى قد انقطع ، و إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه و قربناه . وليس لنا من سريرته شئ . الله يحاسبه فى سريرته . ومن أظهر لنا سوءا لم نؤمنه و لم نصدقه . وإن قال إن سريرته حسنة .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ و هو ألد الخصام ﴾ الألدّ : الشديد الخصومة ، وهو رجل ألدّ. و امرأة لدّاء . و هم أهل لدد . و قد لددت – بكسر الدال – تلدّ – بالفتح – لددا .

أى صرت ألّد . و لددته – بفتح الدال – ألده – بضمها – إذا جادلته فغلبته . و الألدّ مشتق من اللديدين ، و هما صفحتا العنق ، أى فى أى جانب أخذ من الخصومة غلب . قال الشاعر : –

و ألـد ذى حنـــق علىّ كأنما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تغلـــى عداوة صدره فى مرجل

و قال آخر : –

إن تحـت التراب عزمـاً و حزمـاً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ و خصيمـاً ألـدّ ذا مغـــلاق

و ((الخصام)) فى الآية مصدر خاصم ، قاله الخليل . وقيل : جمع خصم ، قاله الزجاج ، ككلب و كلاب ، و صعب و صعاب ، و ضخم و ضخام . و المعنى أشدّ المخاصمين خصومة ، أى هو ذو جدال ، إذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة و باطنه باطل . و هذا يدل على أن الجدال لا يجوز إلا بما ظاهره و باطنه سواء . وفى صحيح مسلم عن عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم))

هـوامـــش

١ - د . السعيد بيومي الورقى ، فى مصادر التراث العربى ، ط ١٩٧٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨٧ .

٢ - راجع فى هذا تاريخ القرآن ، أبو عبد الله الزجاجى ، القاهرة ، ١٩٣٥ م ، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٢٧٨ هـ .

٣ - راجع القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ ٢ ص ٤٧٥ ، ابن النديم ، الفهرست ص ٩ ، ١٠ .

٤ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبـى ، الجامع لأحكام القرآن . دار علوم القرآن جـ ١ ص ٥

٥ - د . يوسف حسن نوفل ، المكتبة العربية و صناعة الكتاب ص ٨٢ .

٦ - الجامع لأحكام القرآن ص ٥

٧ - راجع ترجمة محمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى المالكى أبو عبد الله القرطبى ت ٦٧١ هـ .

ترجمته فى الديباج المذهب فى معرفة أعيار الذهب لإبن فرحون : تحقيق الأحمدى أبو النور دار التراث ط ١٩٧٢ م جـ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ . و طبقات المفسرين للداودى - ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م جـ٢ ص ٦٩ ، نفح الطيب للمقرى تحقيق إحسان عباس - ط١ بيروت ١٩٦٨ م جـ٢ ص ٢١٠ . هدية العارفين للبغدادى - مكتبة المثنى بغداد د . ت ج٢ ص ١٢٩ . شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى - المكتب التجارى بالقاهرة ط ١ سنة ١٣٥٠ هـ حـ ٥ ص ٥ ، ٣٢٥ . ، طبقات المفسرين للسيوطى ط ليدن سنة ١٨٣٩ م حـ ١ ص ٣٨ ، ٣٩ . ، الوافى بالوفيات للصفدى - ط دمشق سنة ١٩٥٩ م حـ ٢ ص ١٢٩ .

. التفسير و المفسرون لمحمد حسين الذهبى مطبعة وهبة - القاهرة ط ٤ مصر ١٩٨٣ م حـ٢ ص ٤٥٧ .

. معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – مؤسسة الرسالة . ط ١٩٩٣ م حـ٣ ص ٥٢ .

. كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون لحاجي خليفة – دار الفكر العربي .

ط ١ سنة ١٩٨٢ م حـ١ ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٥٣٤ .

٨ – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن حـ١ ص ١٤ .

٩ – السابق حـ١ ص ٧

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
و عيون الأقاويل في وجوه التأويل
للإمام / محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨ هـ)

حياته و ثقافته : -

صاحب كتاب الكشاف الذى نحن بصدد عرضه هو إمام الأئمة و هادى الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى . و قد كانت ولادته يوم الأربعاء السابع و العشرين من شهر رجب سنة سبع وستين و أربعمائة بزمخشر ، وتوفى رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة (٥٣٨ هـ) ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى (١) .

و كان الإمام الزمخشرى بارعاً فى علوم العربية قاطبة فقد برع فى علوم الحديث و التفسير و النحو و اللغة و المعانى و البيان و غيرها . لذا كان إمام عصره تشد إليه الرحال إذ أصبح أستاذاً و شيخاً بعدما تلقى العلم و أجازه أساتذته ، من أهمهم شيخه منصور أبو معز .

و كان الإمام الزمخشرى يلقب (جار الله) إذ سافر إلى مكة و جاور بها زمناً فقيل له (جار الله لذلك) ، و قد اشتهر أن إحدى رجليه كانت ساقطة و أنه كان يمشى فى جارن من خشب . و قد اختلف فى سبب سقوطها : -

١ - قيل إنه فى إحدى رحلاته أصابه ثلج كثير و برد شديد فى الطريق فسقطت منه رجله (٢) .

٢ - قيل أن الزمخشرى لما دخل بغداد و اجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى سأله عن سبب قطع رجله فقال : دعاء الوالدة . و ذلك أنى كنت فى صباى أمسكت عصفوراً و ربطته بخيط من رجله فأفلت من يدى فأدركته و قد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط ، فتألمت والدتى لذلك و قالت : - قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله . فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى و عملت على عملاً أوجب قطعها و بعد : فإن أهم ما كان يميز ثقافة الإمام الزمخشرى و فكره أنه معتزلى النزعة ، إذ كان يمثل اتجاه المعتزلة فى التفسير تمثيلاً أميناً و دقيقاً . و لعل

أهمية تفسيره الكشاف ترجع إلى أنه الأثر الوحيد الباقى من التفاسير التى قام بتصنيفها علماء من فرقة المعتزلة .

و قد كان لفرقة المعتزلة فكر خاص ساد لديها عرفت بـه فقد كان من أسس إعتقادها نفى صفات الله تعالى من القدرة ، و الإيمان محدث و مخلوق ، و أن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العبد ، و قد قام مذهب المعتزلة فى الأساس على خمس قواعد : هى : - التوحيد ، العدل ، الوعد و الوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر . (٣) .

إننا إذا رأينا مؤلفات الإمام الزمخشرى استطعنا أن نقف على هذا كله فى أثناء رحلتنا داخل هذه المصنفات ، و لما كان المجال يضيق بنا فلا نستطيع عرض جميع مصنفاته فإننا نعرض فى عجالة أسماء هذه المصنفات لنصل بعدها إلى الكتاب محل هذا الدرس و هو الكشاف .

مـؤلفـاتـــــه : -

١ - الفائق فى تفسير الحديث .

٢ - أساس البلاغة فى اللغة .

٣ - ربيع الأبرار و نصوص الأخبار .

٤ - ضالة الناشد والرائض فى علم الفرائض .

٥ - المفصل فى النحو .

٦ - المفرد و المؤلف فى المسائل النحوية .

٧ - المستقصى فى الأمثال العربية .

٨ - البدور السافرة فى الأمثال السائرة .

٩ - الكشاف . ، و هو الذى نعنى بدرسه .

و هذا الكتاب الأخير هو الذى فسر فيه القرآن الكريم تفسير يتناسب مع فكره الاعتزالى ، و قد دفعت أهمية هذا الكتاب بعض العلماء إلى شرحه و التعليق عليه و كتابة حواشى عن أصوله : من هؤلاء : -

١ – حاشية العلامة أحمد بن المنير المسماه بالانتصاف فيها يناقش الزمخشرى فيما أورد من العقائد على مذهب المعتزلة ، و يورد ما يقابلها عند أهل السنة و كذلك يناقشه فى كثير من اللغة .

٢ – حاشية العلامة الشيخ محمد عليان المرزوقى و هى تتضمن ما تضمنته حاشية ابن المنير من رد الاعتزاليات و بيان اللغويات .

٣ – شرح الشواهد من الأبيات الواردة للتفسير . و هو العلامة الشيخ محمد عليان المرزوقى .

٤ – تخريج أحاديث الكشاف الواردة به . و هى لأمير المؤمنين فى الحديث الحافظ بن حجر العسقلانى أبان فيها مرتبة كل حديث ورد فى هذا التفسير .

نموذج من تفسير الكشاف للزمخشرى –

لقد اخترت هذا النموذج من سورة البقرة ((آية الكرسى)) أية ٢٥٥ لما فيها من قضايا مثارة بين المعتزلة و غيرهم من الفرق ؛ و نجمل هذه الإشارات الإعتزالية كما يبرزها تفسير الزمخشرى لهذه الآية : –

١ – يبرز فى ((الحى)) رأى المعتزلة الذين يفرون من أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياة التى تنافى الموت .

٢ – تبدو هذه النزعة أيضاً فى تأويله الكرسى فى الأيه الكريمة ، إذ ابتعد به عن كل شبهة للتجسيم . وهذا نص تفسيره بتمامه : –

قال تعالى : –

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات و الأرض و لا يؤده حفظهما و هو العلى العظيم﴾ ٢٥٥

(الحى) الباقى الذى لا سبيل عليه للفناء ، وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح أن يعلم و يقدر . و (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق و حفظه.

وقرئ : القيام . والقيم . والسنة : وما يتقدم من النوم من الفتور الذى يسمى النعاس . قال ابن الرقاع العاملى : -

و سنـان أقصد النعاس فرنقت   فى عينيـه سنة وليس بنـائم

أى لا يأخذه نعاس و لا نوم و هو تأكيد للقيوم ؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً . و منه حديث موسى : - أنه سأل الملائكة و كان ذلك من قومه كطلب الرؤية : أينام ربنا ؟ فأوحى الله إليه أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام . ثم قال : خذ بيدك قارورتين مملوءتين . فأخذهما ، وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الآخرى فانكسرتا ، ثم أوحى إليه : قل لهؤلاء إنى أمسك السماوات والأرض بقدرتى ، فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا . (من ذا الذى يشفع عنده) بيان لملكوته و كبريائه . و أن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له فى الكلام ، .

قوله تعالى (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن) (يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم) ما كان قبلهم و ما يكون بعدهم . و الضمير لما فى السماوات و الأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه (من ذا) من الملائكة و الأنبياء (من علمه) من معلوماته (إلا بما شاء) إلا بما علم . الكرسى : ما يجلس عليه ، و لا يفضل عن مقعد القاعد . و فى قوله (وسع كرسيه) أربعة أوجه : أحدها أن كرسيه لم يضيق عن السماوات و الأرض لبسطته و سعته ، و ما و إلا تصوير لعظمته و تخييل فقط ، و لا كرسى ثمة و لا قعود و لا قاعد ، كقوله :

(وما قدروا الله حق قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه) من غير تصور قبضة و طى و يمين ، و إنما هو تخييل لعظمة شأنه و تمثيل حسى . ألا ترى إلى قوله (و ما قدروا الله حق قدره) . الثانى : و سع علمه و سما العلم كرسيا تسميه بمكانه الذى هو كرسى العالم . و الثالث : وسع ملكه تسميه بمكانه الذى هو كرسى الملك. والرابع : ما روى أنه خلق كرسيا هو بين يدى العرش دونه السماوات و الأرض ، و هو إلى العرش كأصغر شئ . و عن الحسن : الكرسى هو (ولا يؤده) ولا يثقله و لا يشق عليه (حفظهما) حفظ السماوات و

الأرض (و هو العلى) الشأن (العظيم) الملك و[illegible]ـزة . فإن قلت : كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا و هى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه و البيان متحد بالمبين ، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق و كونه مهيمناً عليه غير ساه عنه و الثانية لكونه مالكاً لما يدبره . و الثالثة كبرياء شأنه . والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، فعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة . و غير المرتضى . و الخامسة لسعة علمه و تعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلاله و عظم قدره . فإن قلت : لم فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه قوله (ص) : ما قرأت هذه الآية فى دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً و لا يدخلها ساحر إلا ساحره أربعين ليلة ، يا عليّ علمها ولدك و أهلك و جيرانك ، فما نزلت آية أعظم منها و عن على رضى الله عنه : ما سمعت نبيكم (ص) على أعواد المنبر و هو يقول : (من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاه مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، و لا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ، و من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و جاره و جار جاره و الأبيات حوله و تذاكر الصحابة رضوان الله أفضل ما فى القرآن . فقال لهم على رضى الله عنه : أين أنتم عن آية الكرسى ، ثم قال :

قال لى رسول الله (ص) (يا على ، سيد البشر أدم ، وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان و سيد الروم صهيب ، و سيد الحبشة بلال ، وسيد الجبال الطور ، وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسى) قلت : لما فضلت له سورة الإخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه و تمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة كما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار. وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد و لا يغرنك عنه كثرة أعدائه : -

فإن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا

هــوامــش

١ – زمخشر بفتح الزاى و الميم و سكون الخاء و فتح الشين المعجمتين و بعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم و جرجانية بضم الجيم الأولى و فتح الثانية وسكون الراء بينهما و بعد الألف نون مكسورة و بعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة و هى قضية خوارزم . قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : قال لهم بلغتهم كرطانج فعربت و قيل لها جرجانية و هى على شاطئ جيجون . و راجع ترجمة الإمام الزمخشرى فى إنباء الرواة على أنباة النحاة للقفطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ط١ ١٩٨٦م ٢٦٥/٣ ، و السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت د . ت . ، ٢ / ٢٧٩ ، و أبو الفدا عماد الدين اسماعيل ، المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم و يحيى سيد . دار المعارف ط١ ١٩٩٨ م ، ٣ / ٢٥ الذهبى ، صيغ أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط و آخر ، مؤسسة الرسالة ط١١ ١٩٩٨ م ، ٢٠ / ١٥١ ، أبو البركان ابن الأنبارى ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربى ط٢ ١٩٩٨م ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، و كارل روكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ت . د . رمضان عبد الجواد ، دار المعارف ط٣ ١٩٨٣م ٥ / ٢١٥ : ٢٣٨. ابن كثير البداية و النهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم و آخرين . دار الريان للتراث القاهرة ١٩٨٩م ، ١٢ / ٢١٩ ، ياقوت الحموى ، معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب) ، دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٩٩١م ، ٥ / ٤٨٩ و ما بعدها ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٩٣م، ٨٢٢/٣. ابن أبى الوفاء القريش الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، دار هاجر للطباعة و النشر ط١ القاهرة ١٩٩٣ ، ٢ / ١٦٠ ، ١٦١ .

٢ - يقال إن الزمخشرى كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة سقوط رجله من آثر البرودة خوفاً أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة .

٣ - راجع آراء المعتزلة و مبادئهم فى كتاب الفصل فى الملل و الأهواء و النحل - ط القاهرة سنة ١٣٢١هـ ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى - ط دار التحرير ، القاهرة . ابن المرتضى و أحمد بن يحيى ، كتاب المنية و الأمل فى شرح كتاب الملل و النحل ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، د . محمد عبد الهادى أبو ريدة ، إبراهيم بن سيار النظام و آراؤه الكلامية و الفلسفية - ط القاهرة ١٩٤٦م . أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى ، التميد فى الرد على الملحدة و المعطلة و الرافضة و الخوارج و المعتزلة ، تحقيق محمود محمد الخضيرى و د . محمد عبد الهادى أبو ريدة ط القاهرة سنة ١٩٤٧ م ، د . محمد عمارة ، المعتزلة و أصول الحكم ، كتاب الهلال ابريل ١٩٨٤ م .

٣ - تفسير البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان

الأندلسي ت ٧٤٥ هـ

نسبــه و تكـوينـــه : -

هـو محمد بـن يوسـف بن علـى بـن يوسـف بـن حيـان النفـزى الأندلسـى الجيانى الغرناطى المغربى المالكى ثم الشافعى (١) و كان يكنى بأبى حيان .

ولد أبى حيان رحمه الله فى مدينة غرناطة سنة أربع و خمسين وستمائة (٢) و كـان أبـوه علماً مـن أعلام التفسير كما أن غرناطـة كـانت حافلـة بمـدارس العلـم المختلفة و أساتذة الحديث و الفقه و اللغة والأدب شأنها فـى ذلـك شـان قرطبـة . ومرسيه و إشبيلية و غيرها من عواصم الأندلس مما كان له أبلغ الآثر على تشكيل شخصية أبى حيان العلمية . فأقبل أبو حيان على طلب العلم بجد ونشاط منذ نعومة أظافره ، و قد قال ابن الجذرى فى غاية النهاية : (و أول قراءته سنة سبعين وستمائة قرأ القرآن بالقراءات السبع ببلده على عبد الحق بـن عبد الله الأنصارى) . (٣) و قد تلقى أبو حيان — رحمه الله — كثيراً من كتب أهل اللغة و دواوين الشعر . و حفظ كثيراً منها ، كما أنه تلقى علوم البلاغة بأنواعها الثلاثة : البيان . و المعانى . و البديع على أستاذه ابن الزبير ، كما تلقى علم أصول الفقه على أيدى الكثير من أئمته .

شيوخه : -

كان الإمام أبو حيان يسعى إلى العلم ويرتحـل وراءه أينما كان ؛ فقد سمع الحديـث بـالأندلس و افريقيـة والإسـكندرية ومصــر والحجــاز مـن نحـو أربعمائـة وخمسين شيخاً، ونحاول فيما يأتى ذكر أسماء بعض هؤلاء الشيوخ.

١ - أحمد بن ابراهيم بن الزبير بـن محمـد بـن ابراهيم بن الزبير بـن الحسـن ابـن الحسين الثقفى العاصمى الجيانى . و توفى الثلاثاء ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبعمائة (٤) .

٢ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بـن عبـد العزيـز بـن محمـد الإمام أبـو علـى بـن أبـى الأحـوص القرشـى الفهرى . توفى بغرناطـة فـى الرابع عشر من جمـادى الأول سنة تسع و سبعين و ستمائة كذا قال ابن الزبير ، و قال ابن عبد الملك سنة ثمانين (٥) .

٣ - على بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم الخشنى الأبذى (٦) أبو الحسن ، توفى عام ثمانين و ستمائة فى رجب .

٤ - محمد بن على بن يوسف العلامة رضى الدين أبو عبد الله الأنصارى الشاطبى اللغوى ، ولد ببلنسية سنة أحدى وستمائة ، وتوفى بالقاهرة يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وستمائة (٧)

٥ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى نصر الإمام أبو عبد الله بهاء الدين بن النحاس الحلبى النحوى شيخ الديار المصرية فى علم اللسان ، ولد فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة ، و توفى يوم الثلاثاء جمادى الآخرة سنة ثمان و تسعين و ستمائة (٨) .

٦ - محمد بن مصطفى بن زكريا بن خواجا بن حسن الدروكى الصلفرى فخر الدين الحنفى النحوى ، و توفى سنة ثلاث عشرة و سبعمائة . (٩) .

٧ - أحمدبن على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عياش أبو جعفر أبو الطباع الرعينى الغرناطى ، و توفى سنة ثمانين و ستمائة فى ذى القعدة . (١٠) .

٨ - أحمد بن يوسف بن على بن يوسف الفهرى الليالى ، و توفى بتونس فى المحرم سنة إحدى و تسعين وستمائة . (١١) .

٩ - عبد الحق بن على بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك أبو محمد الغرناطى ، لازمه أبو حيان و انتفع به نحو سبعة أعوام كان أخرها سنة تسع و ستين و ستمائة(١٢).

١٠ - اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر بن محمد بن عبدالله بن مروان بن اليسر بن طليق الداخل الأندلسى إبن حبيب أبو الحسين (١٣).

مصنفاتـــه : -

لما كانت ثقافة الإمام أبى حيان واسعة و شيوخه كثيرين متعددى النوازع والاتجاهات ومختلفى العلوم . فلما كان هو نفسه ذكياً حصيفاً ساعياً بدأب إلى تحصيل العلم بمختلف سبله . كان لابد أن يخرج علينا الإمام الحبر البحر بمصنفات متعددة مختلفة فى العلوم التى كانت موضوعاً لها ؛ فنجده يصنف فى تفسير القرآن

الكريم وعلم القراءات وعلم دراسة الحديث النبوى الشريف وعلم الفقه وعلوم اللغة وعلم النحو ...... إلخ (١٤)

ونحاول فيما يأتى ذكر بعض هذه المصنفات : -

١ - كتابة التفسير الذى نحن بصدده الآن (البحرالمحيط)الذى اختصر منه النهر الماد .

٢- غفد اللآلى فى القراءات السبع العوالى .

٣ - الحلل الحالية فى أسانيد القراءات العالية .

٤ - المورد الغمر فى قراءة أبى عمر .

٥ - تقريب النائى فى قراءة الكسائى .

٦- المزن الهامر فى قراءة بن عامر .

٧ - الأثير فى قراءة (ابن كثير) .

٨ - النافع فى قراءة (ابن نافع).

٩ - الرمزة فى قراءة حمزة .

١٠ - الروض الباسم فى قراءة عاصم .

١١ - غاية المطلوب فى قراءة يعقوب .

١٢ - قصيدة النير الجلى فى قراءة زيد بن على .

١٣ - الوهاج فى اختصار المنهاج .

١٤ - الأنوار الأجلى فى اختصار المحلى .

١٥ - مسائل الرشد فى تجريد مسائل إبن رشد (و لم يتمه) .

١٦ - إتحاف الأديب بما فى القرآن من الغريب (١٥) .

١٧ - الإرتضاء فى الفرق بين الضاد و الظاء (١٦) .

١٨ - الإدراك للسان الأتراك (١٧) .

١٩ - الأفعال فى لسان الترك .

٢٠ - زهو الملك فى نحو الترك .

٢١ - منطق الخرس فى لسان الفرس .

٢٢ - جلاء الغبش عن لسان الحبش .

٢٣ - المخبور فى لسان اليحمور .

٢٤ - التذكرة و هو فى أربعة مجلدات كبار .

٢٥ - الشذا فى مسألة كذا (١٨) .

٢٦ - غاية الإحسان فى علم اللسان (١٩) .

٢٧ - النكت الحسان فى شرح غاية الإحسان (٢٠) .

٢٨ - اللمحة البدرية فى علم العربية (٢١) .

٢٩ - إعراب القرآن .

٣٠ - التقريب (٢٢) .

٣١ - التدريب فى تفسيرالمقرب (٢٣) .

٣٢ - الموفور فى تحرير أحكام ابن عصفور (٢٤) .

٣٣ - المبدع (٢٥) .

٣٤ - التذييل و التكميل شرح التسهيل (٢٦) .

منهج أبى حيان فى البحر المحيط :-

إننا إذا أردنا أن نتحدث عن منهج أبى حيان فى تفسيره وجب علينا الإشارة إلى الظاهرة الأولى بل الأساسية التى تسيطر على الكتاب بأثره ، أعنى بها اعتماد أبى حيان فى تفسيره على أساس من اللغة والنحو ، فهو فى أثناء ذلك يلتزم منهجاً دقيقاً يبدأ فيه بالكلام عن المفردات التى يريد تفسيرها لفظة لفظة ، وذلك بما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التى لتلك اللفظة قبل التركيب .

ثم يبدأ بعد ذلك فى تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها وعلم أسباب النزول من العلوم المهمة للمفسر ، فإن لم يكن على بصيره منه وقع فى خطأ عظيم .

ثم يتلو ذلك ببيان الناسخ قبل المنسوخ لان معرفة الناسخ من المنسوخ من العلوم الهامة التى يجب أن يكون المفسر على دراية واعية كاملة بها ، و إلا تخبط تخبطاً يحط من شأنه و شأن المتكلم فيه .

و بعد أن يذكر سبب أو أسباب النزول ، و الناسخ و المنسوخ ، يبين مناسبة الآية ، ومناسبة الآيات و ارتباطها بالسابقة و اللاحقة من الأمور التي يجب أن يوليها المفسر إهتمامه.

ولم يفت أبا حيان أن يلتزم في تفسيره بإيراد القراءات المستعملة والشاذة وتبيين ما تحمله هذه القراءات من المعاني.

و قد جمع أبو حيان في تفسيره بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي:-

(أ) أما بالنسبة للتفسير بالمأثور فإنه دائماً يذكر الآثار الثابتة عن سيدنا رسول الله (ص) في الآية وما ورد أيضاً عن الصحابة و التابعين الثقات دون تقيد بذكر الأسانيد التي عني بها غيره من المفسرين في المأثور ، وهو لا يلتزم دائماً بتخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادر مصنفيها و في بعض الأحيان لا يذكر راوي الحديث ، اكتفاء منه بشهرة الحديث بين المفسرين و العلماء ، و لايلتزم الصحة أيضاً و هذا نادر جداً .

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني و هو التفسير بالرأي : -

فإننا نجد أبا حيان يقوم في تفسيره بتوضيح الجديد - الواضح - و الخفي من الآيات فيخرج الخفي من حيز الخفي إلى حيز الوضوح و التجلي .

ويلاحظ المطلع على تفسير البحر المحيط أن أبا حيان كان يراعي الكلام عن غوامض الاعراب حتى استخلص بعض المحدثين في كتابة إعراباً متكاملاً للقرآن الكريم و هذا الجانب من أهم الجوانب التي يجب أن يلاحظها العالم والفقيه والمحدث لأن المعنى يتغير بتغير الإعراب فلابد من العناية به .

وعني الإمام أبو حيان في تفسيره — إضافة لما سلف — بوجوه البلاغة التي تمثل عنده وجهة و جهات الإعجاز القرآني فكان يذكر عند انتهاء الكلام على الآية المواطن البلاغية من بيان و معان و بديع ، و يعد أوجه البيان في الآية .

وإضافة إلى ماسبق من الظواهر التي نستطيع رصدها في منهج أبي حيان في تفسيره نجده عندما يعرض لتفسير آيات الأحكام يتعرض لذكر كلام الصحابة والأجلاء والتابعين الثقات ومن بعدهم مع بيان المذاهب الأربعة ، ويضاف إلى الوسائل التي استعان بها في تفسيره ذكره الشواهد الشعرية ليدلل بها على قضايا

اللغة والنحو و لم يكد أبو حيان يتناول كلمة من الناحية النحوية إلا أتى عليها بشاهد شعري .

نهاية بعد تعرضنا على بعض القضايا التي تتعلق بتفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان نشرع في عرض نموذج من هذا التفسير .

نموذج من تفسير البحر المحيط

يقول أبو حيان في تفسير بعض آية البقرة

﴿ قل أتحاجوننا في الله و هو ربنا و ربكم ولنا أعمالنا و لكم أعمالكم و نحن له مخلصون ﴾

(قل أتحاجوننا في الله و هو ربنا و ربكم) سبب النزول قيل : أن اليهود والنصارى قالوا : يا محمد إن الأنبياء كانوا منا و على ديننا ، و لم تكن من العرب ، و لو كنت نبياً لكنت منا و على ديننا ، و قيل : حاجوا المسلمين ، فقالوا (نحن : أبناء الله و أحباؤه) و أصحاب الكتاب الأول ، و قبلتنا أقدم فنحن أولى بالله منكم فأنزلت، قرأ الجمهور : (أتحاجوننا) بنونين إحداهما نون الرفع و الأخرى الضمير ، و قرأ زيد بن ثابت و الحسن و الأعمش و ابن محيصن بإدغام النون في النون ، و أجاز بعضهم حذف النون أما قراءة الجمهور فظاهرة ، و أما قراءة زيد و من ذكر معه فوجهها أنه لما التقى مثلان ، و كان قبل الأول حرف مد و لين جاز الإدغام كقولك : هذه دار راشد ، لأن المد يقوم مقام الحركة في نحو جعل لك ، و أما جواز حذف النون الأولى فوجه من أجاز ذلك على قراءة من قرأ (فبم تبشرون) (الحجر : ٥٤) بكسر النون و أنشدوا :

تراه كالثغام يعل مسكا   يسوء الفاليات إذا فليني

يريد فلينني و الخطاب بقوله قل للرسول أو للسامع و الهمزة للإستفهام مصحوبا بالإنكار و الواو ضمير اليهود و النصارى ، وقيل : مشركوا العرب إذ قالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (الزخرف : ٣١) . وقيل : ضمير اليهود والنصارى و المشركين . و المحاجة هنا : المجادلة . و المعنى أتجادلوننا في شأن الله و إصطفاؤه النبي من العرب دونكم ، و تقولون لو انزل الله على أحد لانزل

علينا و ترونكم أحق بالنبوة منا !! (وهو ربنا وربكم) الجملة حالية يعنى أنهم مالكهم كلهم ، فهم مشتركون فى العبودية ، فله أن يخص من يشاء بمايشاء من الكرامه . والمعنى أنه مع اعترافنا كلنا أنا مربوبون لرب واحد فلا يناسب الجدال فيما شاء من أفعاله وما خص به بعض مربوباته من الشرف والزلفى ، لأنه متصرف فى كلهم تصرف المالك ، وقيل المعنى لاتجادلوننا فى دين الله ،وتقولون : إن دينكم أفضل الأديان وكتابكم أفضل الكتب ؟ والظاهر إنكار المجادله فى الله حيث زعمت النصارى أن الله هو المسيح وحيث زعم بعضهم أن الله ثالث ثلاثه ، وحيث زعمت اليهود أن الله له ولد ، وزعموا أنه شيخ أبيض الرأس واللحية الى ما يدعونه فيه من سمات الحدوث والنقص تعالى الله عن ذالك ، فأنكر عليهم كيف يدعون ذلك ، والرب واحد لهم ، فوجب أن يكون الاعتقاد فيه واحداً وهو أن تثبت صفاته العلا ، وينزه عن الحدوث والنقص ، (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) المعنى : ولنا جزاء أعمالنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والمعنى : أن الرب واحد وهو المجازى على الأعمال فلا تنبغى المجادلة فيه ولا المنازعة (ونحن له مخلصون) ولما بين القدر المشترك من الربوبية والجزاء ذكر ما يميز به المؤمنون من الإخلاص لله تعالى فى العمل والإعتقاد وعدم الإشراك الذى هو موجود فى النصارى وفى اليهود ، لأن من عبد موصوفاً بصفات الحدوث والنقص فقد أشرك مع الله إلهاً آخر ، والمعنى أنا لم نشب عقائدنا وأفعالنا بشىء من الشرك كما ادعت اليهود فى العجل والنصارى فى عيسى ، وهذه الجملة من باب التعريض بالذم ، لأن ذكر المختص بعد ذكر المشترك نفى لذلك المختص عمن شارك فى المشترك ، ويناسب أن يكون استطراداً وهو أن يذكر معنى يقتضى أن يكون مدحاً لفاعله وذماً لتاركه نحو قوله :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبه   إذا ما رأته عامر و سلول

وهى منبهه على أن من أخلص لله كان حقيقاً أن يكون منهم الأنبياء وأهل الكرامه ، وقد كثرت أقوال أرباب المعانى فى الاخلاص ، فروى أن رسول الله (ص) قال : سألت جبريل عن الإخلاص ما هو ؟ فقال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو ؟ فقال : سر منْ أسرارى استودعته قلب من أحببته من عبادى ، وقال سعيد بن

جبير : الإخلاص أن لا يشرك فى دينه ولا يرائى فى عمله أحداً ، وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك . و الإخلاص أن يعافيك الله منهما ، و قال ابن معاذ : تمييز العمل من الذنوب كتمييز اللبن من بين الفرث و الدم ، و قال البوشنجى : هو معنى يكتبه الملكان و لا يفسده الشيطان و لا يطلع عليه الإنسان . أى لا طلع عليه إلا الله ، و قال رويم : هو ارتفاع عملك عن الرؤية . و قال حذيفة المرعشى : أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر و الباطن ، و قال أبو يعقوب المكفوف : أن يكتم العبد حسناته كما يكتم سيئاته ، و قال سهل : هو الإفلاس ومعناه: أن يرجع إلى احتقار العمل . و قال أبو سليمان الدارانى : للمرائى ثلاث علامات بكسل إذا كان وحده و ينشط إذا كان فى الناس و يزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، و هذا القول الذى أمر به (ص) أن يقوله على وجه الشفقة و النصيحة فى الدين لينبهوا على أن تلك المجادلة منكم ليست واقعة موقع الصحة و لا هى مما ينبغى أن تكون ، و ليس مقصوداً بهذا التنبيه دفع ضرر منكم و إنما مقصودنا نصحكم و إرشادكم إلى تخليص اعتقادكم من الشرك ، و أن تخلصوا كما أخلصنا ، فنكون سواء فى ذلك.

هـــوامـــش

١- نفح الطيب ٣ / ٢٨٩ ، و النجوم الزاهـرة ١٠ / ١١١ ، و تتمـة المختصـر ٢ / ٤٨ ، وشذرات الذهب ٦ / ٤٥ .

٢- راجع ابن العماد ، الشذرات ٦ ص ١٤٥ ، المقرى ، نفح الطيب ٣ / ١٩٤ .

٣ - ابن الجذرى . غاية النهاية ، ٢ / ٢٨٥ ، وراجع الشوكانى ، البدر الطالع ٢٨٨/٢٢، راجع ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات . ٢ / ٥٥٥ ، و ابن حجر ، الدرر الكامنة، ٥ / ٧٥ .

٤ - راجع ترجمته فـى : البغيـة ١١ / ٣٩١ ، ٢٩٢ . و الشـذرات ٦ / ١٦ غايـة النهايـة ٣٢/١ ، البدر الطالع ١ / ٣٣ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٨٩ ، الدرر الكامنة ١ / ٨٩ .

٥ - راجع ترجمته فى البغيـة ١ / ٣٥ غايـة ١ / ٢٤٢ ، طبقـات المفسرين للـداودى ٥٠/١.

٦ — راجع ترجمته في: البغية١٩٩/٢،والأبذى: بهمزة مضمومة وباء موحدة مشددة مفتوحة وذال معجمة منسوب إلى أبذة بلد من بلاد الأندلس.

٧- راجع ترجمته في : البغية ١٩٤/١، حسن المحاضرة ٣٠٧/١

٨- راجع ترجمته في: البغية ١٣/١-١٤

٩- راجع ترجمته في : البغية ١/ ٢٤-٢٧٤

١٠- راجع ترجمته في : غاية النهاية ١/ ٨٧(٣٩٣)

١١- راجع ترجمته في: البغية ٤٠٢/١-٤٠٣

١٢- راجع ترجمته في : غاية النهاية ١/ ٣٥٩(١٥٣)

١٣- راجع ترجمته في: غية النهاية ٢/ ٣٨٥

١٤- راجع ذكر مصنفاته فـى الـدرر الكامنـة ٥/ ٧٠ ، البغيـة ١/ ٢٨٣، طبقات الشافعية ٣١/٦ ، البدر الطالع ٢/ ٢٨٢، كشف الظنون ١١٥٢/٢

١٥- هو كتاب مطبوع ومتداول بين أهل العلم طبع مرتين الأول بمطبعة الإخلاص بحماة سنة ١٣٤٥ والثانية ببغداد قامت بتحقيقه الدكتورة خديجة الحديثي.

١٦-طبع هذا الكتاب بمطبعة المعارف، بغداد سنة ١٩٦١م مع كتيب آخر باسم "الفرق بين الفاء والظاء"

١٧- طبع هذا الكتاب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٩هـ

١٨- شرح ابن هشام هذا الكتاب بكتاب سماه فوح الشذ في مسألة كذا

١٩- وهو مخطوط وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية بدمشق رقم (١٨٤٥) عام. ويقع في ثمانية عشر ورقة

٢٠- وتوجد من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية رقم (٣٦٤)

٢١- وقد شرح ابن هشام هذا الكتاب وهذا الكتاب توجد منه بدار الكتب المصرية رقم (١٠٥٠) نحو وقد طبع شرح ابن هشام في جزأين بتحقيق الدكتور هادى سنة ١٩٧٧

٢٢- هذا الكتاب اختصار المقرب لابن عصفور ويوجد منه نسخة في معهد المحفوظات العربية رقم (٣٨)

٢٣- توجد منه نسخة في معهد المخطوطات العربية رقم (٣٢)

٢٤- توجد من هذا الكتاب نسخة في دار لكتب المصرية تحت رقم (٢٤) نحو

٢٥- هذا الكتاب تلخيص كتاب الممتع في التصريف توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم(٢٤)

٢٦- توجد من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٦٢) نحو.

الإتقان في علوم القرآن

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

عصر السيوطى و نشأته : -

كان سقوط بغداد فى منصف القرن السابع الهجرى (٦٥٦ هـ) نذير شؤم على الأمة الإسلامية ، فمع سقوط الدولة العباسية تفرقت كلمة المسلمين وتفتت دولهم ، فقد انحازت العراق وفارس إلى المغول ، وآل الأمر فى اليمن إلى إمارات صغيرة ، فى عدن و زبير صنعاء و انتهت حكومات المغرب إلى دويلات يحارب بعضها بعضاً . ولم يقف هذا الآثر عند حد بلاد العرب القديمة و إنما تعدى ذلك إلى بلاد الأندلس إذ أخذ ظل الإسلام ينحسر عن هذه البلاد . إلى أن انجلى عنها فى صورة حزينة مؤلمة .

على الرغم من ذلك فإننا فى هذه الفترة نجد شعاع الأمل ينبعث من جديد، إذ بدأت بلاد مصر و الشام تحمل قبس العلم و تنشر المعرفة ، فأخذت كلاً من مصر و الشام بزمام الحركة العلمية و الأدبية ، و أصبحت الملجأ الوحيد لأبناء هذا اللسان ، فى مملكة واحدة ، حضارتها القاهرة و لغتها العربية ، وغايتها حماية الدين.

و قد عنى أمراء الدول المختلفة الذين تعاقبوا على مصر كالأيوبيين والمماليك بتعظيم الدين و أهله فأخذوا بيد العلم و رفعوا من قدر العلماء فأصبحت القاهرة و الإسكندرية و أسيوط و قوص و دمشق و حلب وحمص تموج بأعيان العلماء ، من الفقهاء والأدباء والمؤرخين والشعراء ، وأصحاب المعاجم و مؤلفى الموسوعات ، و كان منهم ابن خلكان و ابن منذور ، و الصفدى ، و ابن نباته ، والنويرى ، و العمرى ، وابن تيمية ، والسخاوى ، و المقريزى و غيرهم ؛ من جهابزة العلم وأعيان المحقيون . (١)

فى ذلك العصر المائج نشأ الإمام عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى (٢) .

فقد كان مولد الإمام السيوطى ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩ هـ الموافق بالتاريخ الميلادى الثالث من شهر أكتوبر عام ١٤٤٥ م و قد كان ذلك

بمدينة القاهرة بعد إنتقال أبيه إليها من أسيوط بمدة طويلة . و كان أبوه من علماء الفقه الشافعي و قد توفي في صفر عام ٨٥٥ هـ .- مارس ١٤٥١ م .

و في هذه البيئة العلمية نشأ الإمام السيوطي فأتم حفظ القرآن وتهو فئ الثامنة من عمره ، و قد حفظ بعد ذلك عمدة الأحكام ، و المنهاج الفرعي في الفقه للنبوى ، و المنهاج في الأصول له أيضاً . و ألفية المنهاج في النحو ، ومنهاج البيضاوى ، و أخذ علوم الفقه و النحو و الفرائض . و إجيز للتدريس و هو ابن السابعة عشر ، و قد أتقن عدداً من العلوم و ألف فيها كعلم التفسير و الأصول و النحو والمعانى (٣) .

شيـوخـه : -

روى الشعرانى تلميذ السيوطى عن شيخه أن شيوخه بلغوا ستمائة و قد نظمهم فى أرجوزة و قسمهم إلى طبقات أربع ، لكننا لسنا فى مجال لهؤلاء الشيوخ بل نحاول أن نذكر أكبرهم خطراً و أبعدهم أثراً على شيخصية السيوطى العلمية .

١ - ابن حجر العسقلانى : -

على الرغم من أن السيوطى لم يحضر مجلس ابن حجر إلا فى طفولته بصحبة أبيه فإنه كان له أثره الكبير عليه ، و قد روى عنه معتمداً على الإجازة العامة(٤).

٢ - تقى الدين الشمتى الحنفى : -

و قد لزمه السيوطى فى الحديث و النحو أربع سنوات و الشمتى هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن كمال الدين ولد بالإسكندرية عام ٨٠١ هـ و له مصنفات عديدة حاشية على مغنى اللبيب لابن هشام سماها ((المصنف من الكلام على مغنى غبن هشام)) و له المصنف من الكلام الذى نال شهرة كبيرة . (٥) .

٣ - محيى الدين الكافيجى : -

لقب الكافيجى على ما يقال لكثرة اشتغاله بكافية ابن الحاجب فى النحو و قد لزمه السيوطى أربعة عشر سنة ، و الكافيجى هو محيى الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى (٦)

٤ - سيف الدين الحنفى : -

هو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمرى ولد عام ٨٠٠ هـ . و قد برع في الفقه و الأصول و النحو توفى في ذى القعدة عام ٨٨١ هـ و هو آخر شيوخ السيوطي موتاً .

إذا كان هؤلاء الأربعة هم أهم شيوخ الإمام السيوطى فهناك غيرهم كثير مثل شيخ الإسلام البلقينى أكبر فقهاء الشافعية فى عصره . و شرف الدين المناوى فى التفسير و الفقه . . . . . . إلخ .

مصنفـــاتـه : - (٧)

كان الإمام السيوطى كثير الكتابة و التأليف إلى حد جعل مقامنا هذا ينوء بذكرها إذ بلغت مصنفاته ما يقارب ستمائة مصنف ما بين كتاب يقع فى عدة مجلدات أو فى مجلد واحد أو فى رسالة صغيرة ، لذا نذكر بعض هذه المصنفات على سبيل التمثيل فيما يأتى مركزين على المصنفات الدينية .

١ - الاتقان في علوم القرآن

٢- إتمام الدراية لقراء النقاية

٣- الأشباه والنظائر في الفقه

٤- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص

٥- ترجمان القرآن في التفسير المسند

٦- تنوير الحوالك شرح علي موطأ مالك

٧- الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير

٨- مع الجوامع في الحديث

٩- الحاوي للفتاوي(جمع به جانبا كبيرا من فتاواه ورسائله المتنوعة)

١٠ - الدرر المنثور في التفسير بالمأثور

١١ - شرح ألفية العراقي في الحديث

١٢ - طبقات المفسرين

١٣- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

١٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن

ونشرع فيما يلي في دراسة كتاب الإمام السيوطي (الإتقان في علوم القرآن):-وهو أهم كتبه فيما نرى.

الدراسة:

يعد كتابه الإتقان في علوم القرآن من أهم كتب المكتبة القرآنية فهو من أكثر هذه المصنفات إلماما وجمعا لكثير من القضايا المتعلقة بالنص القرآني الكريم. وتجدر الإشارة هنا الي أن هذه النوعية من الدراسات لم تكن قد اتخذت وضعا مستقلا في العصور الإسلامية الأولي؛ وإنما وردت متفرقة في روايات المحدثين وأقوال العلماء، ومقدمات كتب المسرين كالطبري والزمخشري والحوفي، وابن عطية والقرطبي وجاء قدر منها في كتب البلاغة والنقد؛ كدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والصناعتين ونقد النثر ومفتاح العلوم؛ ومثلها في كتب الجدل والمناظرات، كالإنتصار للبلقاني والمغني للقاضي عبد الجبار ومثلها أيضا في كتب القراءات والأحكام؛مما ذكره الكواشي والجبري والنووي ابن الجزري في كتبهم التي صنفوها.

لم يكن كتاب " الإتقان في علوم القرآن " أول المصنفات في هذا الباب لكنه سبق بأكثر من كتاب نعرض لأهمها فيما يلي (٨):

١- صنف الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي كتابا

٢- أسماه " البرهان في علوم القرآن" والإمام الزركشي أحد فقهاء الشافعية في القرن الثامن، وقد جعل الكتاب في سبعة وأربعين بابا؛ في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع القراءات٠٠٠ إلي آخره.

٣- ثم وضع الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان العسقلاني كتابا أسماه" مواقع العلوم من مواقع النجوم" وهو أحد علماء الحديث بمصر. والمتوفي بها سنة ٨٢٤، وقد عقد الكتاب علي فصول محدودة في أسباب

النزول ورجال السند وطرق الأداء والألفاظ المتعلقة بها ثم المعاني المتعلقة بالأحكام.

٤- ثم قام الإمام محي الدين الكافيجي فدون كتابا لطيفا في هذا الشأن ذكر فيه جملا من التفسير والتأويل وطرفا من العلم والمتعلم .

٥- ثم جاء بعد ذلك جلال الدين السيوطي نفسه وألف كتابا أسماه التمييز في علوم التفسير ضمنه أكثر من مائة باب لكنه لم يشف غله فراح يدمج

٦- أبوابا ويزيد أبوابا أخري مبتعدا بكتابه عما يشوبه من لبس أو إبهام فكان الكتاب المسمي "الإتقان في علوم القرآن" وجعله مقدمة لكتابه في التفسير الذي أسماه" مجمع البحرين ومطلع البدرين" وجعله في ثمانين بابا.

بدأ الإمام السيوطي كتاب الإتقان في علوم القرآن بالكلام علي المدني والمكي ثم الكلام علي الحضري والسفري ثم النهاري والليلي والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وأنواع القراءات وآداب حمل القرآن وحفظة وهكذا مضي في الأبواب إلي أن ختمها بالنوع الثمانين في طبقات المفسرين وطريقته بالتصنيف بأن يذكر عنوان الموضوع ويذكر أشهر من ألف فيه ثم يشفعه بفائدة معرفته، وأهميته في تفهم القرآن وتفسير معانيه، ثم يذكر مسائله، وما عساه أن يكون لها من فروع وذيول مستشهدا في كل ذلك بالقرآن أو الحديث أو أقوال العلماء وينقل نصوصا من الكتب التي ألفي فيه فصولا كاملة أو مختصرا منها وكثيرا ما يذيل هذه الأبواب برأيه بعد أن يورد كلمة" قلت"...

ومن أهم ما يمتاز به كتاب الإتقان في علوم القرآن أنه أورد لنا كثيرا من نصوص الكتب التي لم تصل الينا من ذلك بعض كتب الجبري والباقلاني والزملكاني وابن الأنباري وغيرهم وهذه النصوص المقتبسة نجدها منثورة بين طيات الكتاب.

علي الرغم مما عددناه من فضائل هذا الكتاب فإننا لا نعدم وجود مواطن نقص فيه من هذا أن الامام السيوطي ذكر فيه متن كتابة بعض الأحاديث الضعيفة ولكن تقل وطأة هذا الفعل إذا علمنا أن السيوطي كان حريصا علي ذكر الإسناد في

كل حديث ولعل هذا يجعل العلماء يستطيعون الحكم علي الحديث عن طريق إسناده.

ولما لكتاب الإتقان هذه الأهمية الكبرى ثبتت العناية به من قبل العلماء والدارسين فقد كان من أوائل الكتب التي طبعت فطبع لأول مرة في علكتا سنة ١٢٧١ وطبع بمصر سنة ١٢٧٨ وبالمطبعة الكاستلية سنة ١٢٧٩ وبمطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٦ وبالمطبعة اليمينية سنة ١٣١٧ وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨ ...

ثم توالت طباعته وأصبحت هذه الطباعات- في نظر محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة الكاسلتية ونهاية نشير إلى الطبعة التي اعتمدنا عليها في درسنا وهي التي نشرتها دار التراث بتحقيق جيد قام محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٧ .

نموذج من كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطى

***النوع الثامن والثلاثون:**

" فيما وقع فيه بغير لغة العرب".

قد أفردت في هذا النوع كتابا سميته :" المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" و ها أن ألخص هنا فوائده فأقول: اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن فالأكثرون ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيده والقاضى أبو بكر بن فارس علي عدم وقوعه فيه لقوله تعالي (قرآنا عربيا) (١) وقوله تعالي:(ولو جعلناه قرانا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي)(٢) وقد شدد الشافعي النكير علي القائل بذلك.

وقال أبو عبيده: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أن كذا بالنبيطة فقد أكبر القول.

وقال بن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتي بلغات لا يعرفونها.

وقال بن جرير: ما ورد عن بن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن انها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها مجري العربي الفصيح ووقع بها البيان وعلي هذا الحد نزل بها القرآن .

وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة ولكن لغة العرب متسعة جدا ولا يبعد أن تخفي علي الأكابر الجلة وقد خفي علي بن عباس معني ((فاطر)) و((فاتح)) .

قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي .

وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك : إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ويجوز أن يكونوا سبقوا إلي هذه الألفاظ .

وذهب آخرون إلي وقوعه فيه وأجابوا عن قوله تعالي(قرآنا عربياً) بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية وعن قوله تعالي:(أأعجمي وعربي)

∵ المعني من السياق: " أكلام أعجمي ومخاطب عربي" واستدلوا باتفاق النحاة علي أن منع صرف نحو "إبراهيم" للعلمية والعجمة ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف فالكلام في غيرها موجه بأنه إذا اتفق علي وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس وأقوي ما رأيته للوقوع-وهو اختياري - ما أخرجه بن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان.

وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه.

فهذه إشارة إلي أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شئ فلابد أن تقع فيه الإشارة إلي أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شئ فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن علي سائر كتب الله تعالي المنزلة أنها أنزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ولم ينزل فيها شئ بلغة غيرهم والقرآن احتوى علي جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس

والحبشة شي كثير . انتهي وأيضا النبي صلي الله تيه وسلم مرسل إلي كل أمة وقد قال تعالي:

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) فلابد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد رأيت الخويي ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال:إن قيل أن "إستبرق" ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة فنقول: لو اجتمع فصحاء العرب وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك وذلك لأن الله تعالي إذا حث عباده علي الطاعة فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه علي وعد الحكمة فالوعد والوعيد نظرا إلي الفصاحة واجب ز ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور: الأماكن الطيبة ثم المآكل الشهية ثم الشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع فإذن ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح ولو تركه لقال من أم بالعبادة ووعد عليها بالأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كريه فإذن ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها وأرفع الملابس في الدنيا الحرير وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب ثم ان الثوب الذى من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع فحينئذ وجب علي الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والدعاء ثم هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح أو لا يذكر بمثل هذا ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولي لأنه أوجز وأظهر في الإفادة وذلك "إستبرق" فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربي لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده

عندهم وزرة تلفظهم به وأما إن ذكره بلفظين فاكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة لأن ذكر لفظين لمعني يمكن ذكره بلفظ تطويل فعلم بهذا أن لفظ "إستبرق" يجب علي كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأى فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله !. انتهى وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن العربية: والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلي ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال: أعجمية فصادق ومال إلي هذا القول الجواليقي وابن الجوزى وآخرون.

وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة علي حروف المعجم :

(أباريق): حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية وقال الجواليقى : الإبريق فارسي معرب ومعناه طريق الماء أو صب الماء علي هينة .

(اب): قال بعضهم: هو الحشيش بلغة أهل الغرب حكاه شيذلة

(ابلعى) : أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالي :

(ابلعي ماءك)

قال: بالحبشية "أزدرديه" وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال : اشربي بلغة الهند

(اخلد): قال الواسطى في الإرشاد : أخلد إلي الأرض، ركن بالعبرية.

(الأرائك): حكي بن الجوزي في فنون الأفنان أنها السرر بالحبشية

(آزر): عد في المعرب علي قول من قال : إنه ليس بعلم لأبي إبراهيم ولا للصم وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يقرأ:(وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر) يعني بالرفع قال: بلغني أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه.

وقال بعضهم: هى بلغتهم يا مخطئ.

(أسباط): حكى أبو الليث في تفسيره أنها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب.

(إستبرق): أخرج بن أبى حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ بلغة العجم.

(أسفار): قال الواسطي في الإرشاد: هي الكتب بالسريانية وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية.

(إصرى): قال أبو القاسم في لغات القرآن : معناه عهدى بالنبطية.

(أكواب): حكى بن الجوزي أنها الأكواز بالنبطية وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية جرار ليست لها عرى.

(إل): قال ابن جنى: ذكروا أنه اسم الله تعالي بالنبطية.

(أليم): حكى ابن الجوزي أنه الموجع بالزنجية وقال شيذلة : بالعبرانية.

(إناه): نضجه بلسان أهل المغرب ذكره شيذله وقال أبو القاسم : بلغة البربر وقال في قوله تعالي:(حميم آن) هو الذى انتهى حره بها وفي قوله تعالي: (من عين آنية): أى حارة بها .

(أواه): أخرج أبو الشيخ بن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:الأواه الموقن بلسان الحبشة وأخرج أبي حلتم مثله عن مجاهد وعكرمة وأخرج عن عمرو بن شرحبيل قال : الرحيم بلسان الحبشة وقال الواسطي : الأواه الدعاء بالعبرية.

هوامش

١- راجع محمد أبو الفضل إبراهيم، تصديره لكتاب الإتقان فى علوم القرآن

٢- السيوطى. حسن المحاضرة حـ١ ص١٨٨ وراجع العيد روسى . تاريخ النور السافر ص٥٤، ابن العماد: شذرات الذهب حـ ٨ ص٥١

٣- راجع شذرات الذهب حـ٨ ص٥٢، حسن المحاضرة حـ١ ص١٨٨، السخاوى حـ١ ص٦٥

٤- راجع حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٠، السيوطى. ذيل طبقات الحفاظ للذهبى ص٣٨٢،٣٨١ السيوطى. نظم العقيان فى أعيان الأعيان ص٤٦

٥- راجع السيوطى. بغية الوعاة ص ١٦٧،١٦٣، د. شوقى ضيف. المدارس النحوية ص٣٥٧

٦- راجع السيوطى. بغية الوعاة ص ٤٨، حسن المحاضرة حـ١ ص٣١٨،٣١٧، ابن إياس. بدائع الزهور حـ٢ ص١٥٢،١٥١

٧- راجع د. طاهر سليمان حمودة، المطالع السعيدة شرح السيوطى على ألفيته المسماة بالفريدة فى النحو والتصريف والخط ص٢٠ وما بعدها.

٨- راجع تصدير محمد أبو الفضل إبراهيم لكتاب الإتقان ص٧ وما بعدها

الفصل الثانى

مصادر المكتبة العربية فى اللغة والنحو و المعاجم

ليس من شك فى أن اللغة تمثل لأى شعب من الشعوب قديما و حديثا أهمية خاصة فتمثل لهم رمزاً قومياً يحرصون عليه و يتمسكون به و يدافعون عنه ويغارون عليه .

ولما كانت اللغة بجميع مستوياتها تشكل المادة الأساسية و الأولية لفن الكلام شعراً ونثراً كان حرص العلماء الشديد على دراستها و المحافظة عليها . و من الثابت أن اللغويين يعدون الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسى للوحدات الدلالية حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى(١) و يذهب أبو الفتح عثمان بن جنى فى خصائصه إلى أن الألفاظ دليل المعانى و أن الأصل فى الدلالة أن تستمد من الكلمات المفردة (٢) .

لهذا عنى العرب منذ العصر الجاهلى بلغتهم عناية فائقة . فكانوا يحتفون بالشعر و الشعراء بوصف الشعر مظهراً من مظاهر هذه اللغة وكانوا يعنون بالأسواق الأدبية التى كان يتبارى فيها الشعراء و الخطباء كسوق عكاظ و ذى المجنة حيث كان الشعراء يفدون لعرض أشعارهم على المحكمين و هم شعراء معروفون لهم علم دقيق بالشعر و صناعته ، و كان العرب - كذلك - يبعثون أطفالهم إلى مواطن اللهجات الفصيحة ليتعلموا اللغة من منابعها الأصيلة ومثال ذلك الرسول الكريم (ص) إذ نشأ فى بنى سعد بن بكر بن هوازن فى فترة طفولته ، و من مظاهر عناية العرب بلغتهم أيضا أنهم كانوا يدفعون صبيانهم إلى أدبائهم و شعرائهم ليعيشوا معهم و ينشأوا على تفوقهم اللغوى كما حدث مع زهير بن أبى سلمى و نشأته مع خاله بشامة بن الغدير الشاعر (١٣) .

وقد استمرت هذه العناية باللغة العربية من قبل أهلها فى العصور الإسلامية إذ عنى علماء العربية بدراسة اللغة العربية و جمعها و بحث قواعدها المنظمة حفظا لها وحرصا عليها . و قد دفعهم هذا إلى أن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم و الوسيلة الأولى لإعجازه ، و هذا - لاشك -جعل للمصادر التى تعنى بدراسة العربية أهمية عظيمة و مكانة كبرى فى تاريخ المكتبة العربية . و قد تنوعت هذه المصنفات اللغوية

بين معاجم وكتب في النحو و الصرف و الدراسات المختلفة التي كانت بؤرة اهتمامها دراسة العلاقات بين اللفظ و المعنى .

و لدينا في المكتبة العربية الموروثة عدد ضخم من معاجم الألفاظ مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠ م) و يعد أول معجم للألفاظ وضع في اللغة العربية ، و النوادر لأبى زيد الأنصارى سعيد ابن أوس (٢١٥ هـ) ، والجمهرة في اللغة لأبن دريد أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٢١ هـ) . والأضداد لأبن الأنبارى أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٦٧ هـ) ، والمصباح المنير للمقدى ، أحمد بن محمد (ت ٣٨٠ هـ). والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى . أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣ هـ) ومختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ، وأساس البلاغة للزمخشرى . محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، ولسان العرب لابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ،. والقاموس المحيط للفيروز آبادى مجد الدين بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) .

أما كتب النحو في العربية وما عنيت بالتراكيب والمعانى والتصريف فنذكر منها على سبيل المثال الكتاب لسيبويه أبو بشر عمرو (ت ٧٨٠ هـ).، وكتاب سيبويه هذا أول كتاب وضع لقواعد علم النحو والتراكيب في تاريخ المكتبة العربية ، والاشتقاق للأصمعى ،أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٣٢٠ هـ).، وكنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن اسحق (ت ٢٤٤ هـ) . والإيضاح في علل النحو للزجاج ، إبراهيم بن السرى (ت ٣١١ هـ) .، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ)، كتاب الإبدال لأبى الطيب عبد العال بن على (ت ٣٥١ هـ)،والتصريف ، وصناعة الإعراب .والمصنف ، والخصائص لابن جنى، أبو الفتح عثمان (ت٤٢٩ هـ)، مقاييس اللغة لابن فارس ، ، أبو الحسن أحمد (ت ٣٩٥ هـ) و فقه اللغة و سر العربية للثعالبى ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) . و المخصص و كتاب المحكم لابن سيده ، أبو الحسن على بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) و أسرار العربية ، و لمع الأدلة في أصول النحو للأنبارى أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) ، الأشباه و النظائر في النحو ، و المزهرفى اللغة والنحو ، وشرح

السيوطى على ألفيته المسماه بالفريدة فى النحو . و التصريف والخط للسيوطى جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) وشرح بن عقيل علي ألفية بن مالك ، بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلى (ت ٧٦٩ هـ).

وبعد نشرع الآن في دراسة بعض النماذج من هذه المصادر التراثية في علوم اللغة والنحو والمعاجم علي النحو الآتي :

١- شرح السيوطى علي ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط سبق لنا دراسة كتاب آخر للإمام جلال الدين السيوطى وهو الإتقان .

٢- في علوم القرآن الذى تناولناه بالتحليل في الفصل السابق من كتابنا هذا وقد أشرنا في مطلع الدراسة إلي عصره وحياته وثقافته وشيوخه لذا لن نعيد ما أسلفنا وإنما نحيل إلي موضوعه المذكور .

ولما كنا قد درسنا في الفصل السابق مكتبة الدراسات القرآنية ذكرنا للإمام السيوطى مصنفاته في الموضوع ذاته أما ونحن في هذا المقام فعلينا أن نذكر مصنفاته في علوم اللغة والنحو وهاك بعضا منها:

١- الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية

٢- الأشباه والنظائر في النحو

٣- الاقتراح في علم أصول النحو

٤ - بعية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

٥- البهجة المرضية في شرح الألفية

٦ - جمع الجوامع في النحو

٧ - الألفية النحوية للسيوطى

٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها

٩ - المطالع السعيدة في شرح الفريدة

١٠ - الموشح في النحو

والآن نشرع في حديثنا عن كتاب السيوطى أعنى به ألفيته المسماة "الفريدة" وشرح هذه الألفية: وهذا الكتاب يعد شرحا "للسيوطي علي ألفيته في

النحو . وقد ترجم السيوطي نفسه لحياته وذكرها فيما ذكر(٤) ومقدمة هذا الكتاب الذى نحن بصدده تشبه إلي حد كبير كتابه الذى وضعه في سبب وضع علم العربية حيث أورد فيهما نقولا مكررة كما أشار فيه في أكثر من موضع إلي بعض مؤلفاته السابقة كما أن أسلوبه وطريقة عرضه تؤكد نسبته إليه فضلاً عن التصنيف (ترتيب الأبواب والأقسام) المتميز عن تصنيف بن مالك والذى يشبه تصنيفه لكتابه جمع الجوامع الذى شرحه بهمع الهوامع، وتبريره للتصنيفين واحد فكل منهما يشمل مقدمات ثم سبعة كتب أي سبعة أقسام ينتظم كل قسم عددا من الفصول وعلي هذا فليس ثمة شك في نسبته الفريدة إلي الإمام السيوطي (٥).

لقد طبعت المنظومة الألفية المسماة بالفريدة بالقاهرة عام ١٣٣٢ هـ،و بصدرها عبارة منسوبة إلي السيوطي وهي " هذه الألفية لخصت فيها ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت وزدتها أربعمائة بيت فيها من القواعد والزوائد ما لا يستغني طالب العلم عنه " وقد أثبت د.طاهر حمودة نسبة هذه العبارة إليه (٦).

وقد اختلف السيوطي في تقسيمه الأبواب النحوية عما صنعه ابن مالك، حيث قسم السيوطي منظومته وشرحه لها تبعا لذلك إلي مقدمات وسبعة كتب، تناول في المقدمات الكلام وما يتألف منه والمعرب والمبني والنكرة والمعرفة والعلم وأسماء الإشارة والمعرف بالأداة والموصول ثم الموصول الحرفي وهذا الأخير من زيادات السيوطي علي ما تناوله ابن مالك من قبل وجعل الكتاب الأول للعمد وهي المرفوعات والمنصوبات بالنواسخ والثاني للفضلات والثالث للمجرورات والمجزومات وما يتبعها والرابع للعوامل والخامس للتوابع والسادس للأبنية والسابع للتصريف واختتم المنظومة والشرح عليها بالتبعية بخاتمة في الخط ونلاحظ أن هذا الترتيب هو نفس ترتيب السيوطي في كتابه جمع الجوامع وشرحه عليه همع الهوامع ، فهو تارة صاحب منظومة يتناولها بالشرح يريد أن يزيد فيها علي ابن مالك وأخري صاحب متن نثري يتناوله بشرح عليه.

وقد قام دكتور طاهر سليمان حموده بتحقيق جيد للمخطوطة التي يشرح فيها السيوطي الفريدة معتمدا علي مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بالخزانة

التيمورية برقم ٥٨١ نحو وقد كتبت في عام ١٢٦٢هـ بخط حسن اسماعيل بن عبد الله الموصلي ويصل عدد صفحاتها إلي ٣٣٠ صفحة بخلاف نحو خمس صفحات في آخر المخطوطة ليست للسيوطى بها بعض الأدعية والموضوعات الأخرى التي ليست للسيوطى يرجح أنهامن فعل الناسخ.

خصائص شرح السيوطى:

إن الشرح الذى قام به الإمام السيوطى علي فريدته يتميز حاول السيوطى في شرحه في مواضع كثيرة مزج الدرس النحوي بما أفاده من درس اللغة والنظر في صياغتها وأبنيتها ووصف ظواهرها .

١- كان يحاول في شرحه حصر بعض الفصائل اللغوية ومن ذلك علي سبيل المثال ما صنعه في أثناء دراسته المبنية علي الكسر حيث وضع معه (فعال) ويظهر أيضا في حصره لألفاظ التغليب عند تناوله صيغة المثني كالقمرين للشمس والقمر.

٢- يظهر في شرح السيوطى بجلاء إفادته ممن سبقه من علماء النحو وتأثره بهم خصوصا نحاة مصر الذين سبقوه بقليل فقد تأثر بأبي حيان ونقل عنه كثيرا كما تأثر غاية التأثر بابن هشام وله اختيارات يميل فيها إلي ما ينسب إليهما وقد أفاد في شرحه بما فعله ابن هشام في مصنفاته وقد أقر هو نفسه ذلك في هذا الكتاب .

٣- يمثل السيوطى وكتابه أفضل تمثيل المدرسة المصرية في النحو التي تأثرت بالمدارس النحوية السابقة عليها؛ البصرية والكوفية والبغدادية

٤- والأندلسية وإن كان الأثر الأكبر لهذه المدارس في المدرسة المصرية أقرب إلي الأندلسيين .

٥- تميز الكتاب أيضا بخاصة التميز من أراء المدارس السابقة مع شئ من التغليب لمذهب الأندلسيين.

٦- إننا لا نعدم العثور من حين إلي حين علي بعض الآراء الخاصة أو مفاهيم حديدة للإمام السيوطى في كتابه تجاه بعض المسائل؛ من ذلك اختياره أن الأسماء قبل تركيبها في الجمل لا مبنية ولا معربة. والبناء

٧ - رأى ابن الحاجب وابن مالك، والإعراب رأى الزمخشرى. والقول بالواسطة رأى أبي حيان واختيار السيوطى .

٨ - قد توجد في كتاب السيوطى مخالفات من قبله تجاه سيبويه والجمهور كما فعل في اختياره إعراب "أى" الموصولة في جميع حالاتها في حين يذهب سيبويه والجمهور إلي بنائها علي الضم إذا أضيفت وحذف صدر صلتها مستدلين بقوله تعالي:

(ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد علي الرحمن عتيا) وقد تبع في هذا الرأى قول الأخفش والزجاج واحتج لرأيه بقوله الجرمى: خرجت من الخندق- يعنى خندق البصرة- حتي صرت إلي مكة فلم أسمع أحدا يقول اضرب أيهم أفضل بل كلهم ينصب ولا يضم " . كما احتج ببعض القراءات التي نصبتها.

٩ - وقد ينفرد السيوطى برأى خاص دون النحويين كقوله أن المثني قد يبنى علي الألف نيابة عن الفتحة علي لغة الحارث بن كعب لقوله صلى الله عليه وسلم " لا وتران في ليلة " .

١٠ - ويتميز السيوطى كذلك في كتابه بجمعه للآراء المختلفة وحكمه علي كل رأى بما يبين موقفه منه ونقده له فيذكر أنه ضعيف أو قوى أو صحيح أو مشهور والشهرة لا تعني الصحة دائما .

١١ - وقد استطاع السيوطى - أخيرا - في درسه النحوي أن يلائم بين منهجه الذى غلب عليه الطابع النقلى وبين المنهج العقلي الاستنباطى وقد كان صادقا حينما ذكر عن نفسه أنه بلغ درجة الاجتهاد في العربية وأنه ليس بعد ابن هشام نحوى مثله .

نموذج من شرح السيوطى

يقول السيوطى فى إعراب المثنى و جمع المذكر السالم : -

بالالف ارفع ، و انصبن و اجر بيا	اثنبن و اثنين مع ما ثنيا
و ان تضف لمضمر كلتا كلا	و القمرين بعد فتح ما تلا

الباب الثاني من أبواب النيابة : المثنى . وهو كل اسم دل على اثنين بزيادة على آخره صالحة للتجريد و عطف مثله عليه نحو : زيدان و رجلان فإنه يرفع بالألف ، و ينصب و يجر بالياء المفتوح ما قبلها نحو ((قال رجلان)) و جاء الزيدان ، و رأيت رجلين و الزيدين . و الحق بالمثنى في ذلك أنواع ليست منه منها اثنان واثنتان ، و ثنتان في لغة تميم مطلقاً أضيفا أم أفردا أم ركبا كقوله تعالى : ((فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً)) ، ((شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنين))، ((ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين)) ، ((و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا)) .

و منها ((كلا)) و ((كلتا)) بشرط اضافتهما إلى مضمر نحو : جاءني كلاهما و رأيت كليهما ، و مررت بكليهما ، فان أضيفا لمظهر أعربا اعراب المفرد المقصور من لزوم الألف و تقدير الحركات عليها .

ألفاظ التغليب

و منها ألفاظ التغليب ، و هو ما صلح للتجريد لا لعطف مثله عليه ، كالقمرين للشمس والقمر ، و العمرين لأبي بكر و عمر ، و العمرين لعمرو بن جابر و بدر بن عمرو قال الشاعر :

جزاني الزهد مان جزاء سوء   و كان المرء يجزى بالكرامه

و قال أبو عبيدة : هما زهدم و كردم ، و الأحوصين : الأحوص بن جعفر و عمرو بن الأحوص ، و الأبوين للأب و الأم ، و الخشفين للخشف و أخيه سيف ابني أوس ، و المصعبين لمصعب بن الزبير و ابنه عيسى أو اخيه عبد الله ، والخبيبين لابي خبيب عبد الله بن الزبير و أخيه مصعب قال : قدني من نصر الخبيبين قدى والبحيرين لبحير و فارس ابني عبد الله بن سلمة . و الحرين للحر و أخيه أبي قال الشاعر :

ألا من مبلغ الحرين عني   مغلغلة و خص بها أبيا

والاقرعين للاقرع بن حابس وأخيه مرثد . والطليحتين لطليحة بن خويلد الاسدى وأخيه جبال . والخزيمين و الزينبتين وهما خزيمة وزينبة من باهلة.

جمع المذكر السالم و ما ألحق به.

و ارفع بـواو وبيـا اجـرر وانصبا	سـالم جمـع بشـروط تجتبـــي
مــن علــم أو وصفــة المذكـــر	ذى العقل من تاء و تركيب عرى
ليســت كــأحمر ولا سكرانـــا	و لا صبـــور و جريـــح بانـــا
و ألحــق العشــرون و السنونـــا	و بـاب ذيــن و كـذا أهلونـــا
أولـــو و عالمــون عليـــونـــا	و أرضـــون شــذ عانســـونـــا

الباب الثالث من أبواب النيابة جمع المذكر السالم و هو ضربان : اسم وصفة، فالاسم لا يجمع هذا الجمع إلا بخمسة شروط : الذكورة و العلمية و العقل و الخلو من تاء التأنيث و قبول تاء التانيث عن قصد معناه ، و احترز بهذا الأخير من ثلاثة أشياء : فعلان فعلى نحو سكران ، و أفعل فعلاء نحو أحمر ، و ما اشترك فيه المذكر و المؤنث نحو صبور و جريح فلا يجمع شئ من ذلك بالواو و النون ، مثال الإسم الذى اجتمعت فيه الشروط : جاء الزيدون و رأيت الزيدين ، و مررت بالزيدين .

و مثال الصفة التى اجتمعت فيها الشروط ((قد أفلح المؤمنون)) ((إن المسلمين)) . و الأحق فى الإعراب ألفاظ لم تجتمع فيها الشروط منها : عشرون و بابه إلى تسعين قال تعالى : ((و واعدنا موسى ثلاثين ليلة)) ((فتم ميقات ربه أربعين ليلة)) ، ((و اختار موسى قومه سبعين رجلا)) ، ((فاجلدوهم ثمانين جلدة)) . و منها سنون و بابه و هو كل ثلاثى حذفت لامه و عوض عنها هاء التأنيث و لم يكسر كقلين و عزين و عضين جمع : قلة ، و عزة ، و عضة قال تعالى : ((و لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين)) ، ((عن اليمين و عن الشمال عزين)) ، ((الذين جعلوا القرآن عضين)) ، قال الشاعر :

ثم انقضت تلك السنون و أهلها	فكـأنهـا و كـأنهـم أحـــلام

ومنها الأهلون ومفرده ((أهل)) وهو اسم جنس ليس بعلم ولاصفة ، ومنها ((أولو)) وهو اسم جنس ليس له مفرد من لفظه قال تعالى :

((و لا يأتل أولو الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولي القربى)) ((إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب)) و منها عالمون و الوجه أنه جمع لعالم على بابه ، و منها عليون و هو اسم لأعلى الجنتين قال تعالىٰ :

((كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين و ما أدراك ما عليون))

و منها ((أرضون)) و وجه شذوذه أمران : كونه جمع تكسير فإن راءه مفتوحة في الجمع ساكنة في المفرد ، و كون مفرده مؤنثاً و في الحديث:

((طُوِّقه من سبع أرضين)) ، و منها عانسون قال الشاعر :

منا الذي هو ما ان طر شاربه   و العانسون و منا المردو الشيب

و وجه شذوذه ان عانساً من الصفات المشتركة التي لا تقبل تاء التأنيث .

نون المثنى و الجمع

و كسر نون لمثنى اتبع   و قل فتح بخلاف ما جمع

الأفصح في نون المثنى و ما ألحق به أن تكون مكسورة ، و الموجب تحريكها في البابين التقاء الساكنين ، و إنما خص المثنى بالكسر و الجمع بفتح لخفة المثنى و ثقل الكسر ، و ثقل الجمع و خفة الفتح فأعطى كل لكل ليقع التعادل .

و قال شارح الفصول : إنما كسرت في المثنى لأن الأصل في التقاء الساكنين الكسر، و التثنية أسبق من الجمع ، أو قصد بذلك الفرق بينهما وبين نون الجمع وكانت أحق بالكسر لأن قبلها ألفاً وياء مفتوحاً ما قبلها ، وإنما فتحت في الجمع طلباً للتخفيف إذ قبلها واو قبلها ضمة أو ياء قبلها كسرة ، فلو كسرت لثقل اللفظ جداً ، وإنما استمر الفتح في جمع المقصور مع كون ما قبل الواو والياء مفتوحاً حملاً للمعتل على الصحيح وليطرد الباب على قاعدة واحدة .

و قال الفراء : كسرت النون في التثنية لأن الألف في نية الحركة . و فيما لغة أخرى و هي فتح نون المثنى و كسر نون الجمع . قال الشاعر :

على أحوذيين استقلت عشية

و قال : أعرف منها الجيد و العينانا

و قال : و أنكرنا زعانف آخرين

و قال : و قد جاوزت حد الأربعين

و سواء فى هذه اللغة فى المثنى حالة الياء و الألف كما صرح به السيرافى و أما فى الجمع فيختص بحالة ألياء كما نبه عليه ابن هشام و قال : إنه لم يحفظ إلا بعدها ، ولم يحفظ بعد الواو و قال : و بعيد أن يجوز لإفراطه فى الثقل .

هوامش

١- راجع محمد مصطفى أبو شوارب، رواية الشعر وتفسيره في منهجية التراث العربي، الملتقى المصري للإبداع والتنمية ١٩٩٩م ص١١٣ وما بعدها ، د. أحمد مختار عمر. علم الدالة، عالم الكتاب بيروت ١٩٩٣م ص٣٣

٢- راجع ابن جني،أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ) الخصائص، تحقيق محمد النجار ط٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ١/٨٠،٢١٦، ٢/٣٧١، ٣/٧٥

٣- راجع د.سعد حمودة، دراسات في المكتبة العربية، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠م ص٥٩ وما بعدها

٤- السيوطي، حسن المحاضرة، ج١ ص١٩٣،١٩٤ ، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ص٥٤٢، الزرعلي : الإعلام ج٤ ص٧١

٥- راجع د. طاهر سليمان حموده، المطالع السعيدة شرح السيوطي على ألفيته المسماة بالفريدة في النحو والتصريف والخط ص٢٢ وما بعدها

٦- المطالع السعيدة ورقة ٥ص١٠

٢-منظومة ابن مالك و" الألفية"

وشرح ابن عقيل عليها

إن نظام المنظومات العلمية التى تجمع ما فى العلوم من قواعد طريقة ابتدعها العلماء ليسهل حفظ قواعد أى علم على طالبه : فوضعت هذه المنظومات الطوال فى علم النحو و الصرف و الفقه و الحديث و غير ذلك من علوم العربيّة ، ومْن ذلك ما صنعه ابن مالك .

شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك

نبدأ في مطلع هذا الدرس بترجمة لصاحب الألفية-ابن مالك- وأخرى لشارحها- ابن عقيل- أولا ابن مالك:

ترجمة ابن مالك

*نسبه : هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى الأندلس الشافعى النحوى اللغوى.

*ولادته : اضطربت الروايات في سنة ولادته، ولا نستطيع الجزم في أى منها فقال الذهبى والسبكى والأسنوى والمقرى وابن العماد أنه ولد سنة ٦٠٠هـ أو ٦٠١هـ .واقتصر الصفدى وابن تغرى بردى علي أنه ولد سنة ٦٠١هـ واقتصر السيوطى وابن كثير علي أن سنة مولده كانت ٦٠٠ هـ. وقد ولد في مدينة (جيان) بالأندلس، شرقي قرطبة، بينهما سبعة عشر فرسخا.

*عصره أو الحالة السياسية في عصره:

رحل ابن مالك إلي الشرق وهو شاب وذلك لما مرت به الأندلس وقتئذ من فتن وأحداث قبيل انتهاء عصر دولة الموحدين وضعف شوكة المسلمين بها فترك بلاده ونزل مصر، في وقت كانت فيه الاضطرابات بمصر مستعرة في زمن الملك الكامل ناصر الدين بن العادل (٦١٥-٦٣٥)هـ، فتحرر ابن مالك بعد أن أدى فريضة الحج الاستقرار بحلب التى كانت تحت امرة الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين وابنه الناصر صلاح الدين يوسف بعده وقد كان فيها من العلماء ابن يعيش وغيره.

شهد ابن مالك نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ٦٤٨هـ-٦٥٨هـ كما شهد سقوط بغداد ونهاية الدولة العباسية علي يد التتار سنة ٦٥٦هـ وجانبا كبيرا من عهد سلطنة الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٩هـ).

وعلي الرغم من التقلبات السياسية في تلك البلاد وانعدام الاستقرار فيها بسبب الحروب الصليبية وهجوم التتار من جهة الشرق ونزاع بني أيوب أنفسهم فقد كانت الحالة العلمية وقتئذ تشهد رواجا وتقدما وكأن الناس قد هرعوا إلي حلقات العلماء ليجدوا فيها ملاذا لمشاعرهم التي أرهقتها المحن وقد ظهر من العلماء في ذلك الوقت :

من النحاة : ابن الحاجب المتوفي ٦٤٦هـ

العكبرى المتوفى ٦١٦هـ

ابن يعيش المتوفى ٦٤٣هـ

ابن الأثير المتوفى ٦٣٧هـ

ومن المفسرين والفقهاء:

١- ابن العلاح ت ٦٤٤ صاحب المقدمة في علوم الحديث وهو الفقيه الشافعى المعروف

٢- العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المعروف ت ٦٦٠هـ

٣- فخر الدين الرازى المفسر المعروف صاحب تفسير مفاتيح الغيب ت ٦٠٦هـ وغيرهم كثيرون

رحلاته وتصدره للتدريس:

رحل ابن مالك من الأندلس إلي الشرق ونزل في القاهرة ثم رحل إلي الحجاز ثم قدم دمشق واستقر بحلب ثم حماه ثم استوطن دمشق .

وقد تصدر بحلب لاقراء العربية وتصدر للتدريس بالمدرسة الظاهرية بحلب التي أسسها الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين المتوفي ٦١٣هـ.

ولما استقر بدمشق تولي التدريس بالمدرسة العادلية التي أسسها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين المتوفى ٦١٥هـ وأكملها ولده عيسى وهى الآن مقر المجمع العلمى العربى بدمشق.

ثم تولي ابن مالك كشيخة العادلية الكبرى وبقى إلى أن التحق بالرفيق الأعلى

شيـــوخـــــه:

١- ثابت بن حيان : -

- أخذ ابن مالك القراءات والنحو عن ثابت بن حيان المتوفى سنة ٦٢٨هـ.

٢- أبو علي الشلوبين : عمر بن محمد الاشبيلى الأزرى كان امام عصره في العربية بلا مدافع عالما بنقد الشعر بارعا في التعليم له عدة مصنفات منها : شرح الجزولية ،التواطئة توفي ٦٤٥هـ.

٣- السخاوى: علي بن محمد بن عبد العمد السخاوي وكان عالما بالقراءات والنحو له مصنفات منها : سفر السعادة وسفير الإفادة وشرح المفصل ت ٦٤٢هـ

٤-أبو البقاء : يعيش علي بن يعيش النحوى المشهور من كبار أئمة العربية ماهر بالنحو والتصريف، له مصنفات منها شرح المفصل للزمخشرى وشرح التصريف الملوكى ت ٦٤٣هـ.

٥-ابن عمرون: محمد بن محمد بن أبى سعيد النحوى الحلبى ت ٦٤٩هـ.

٦- روى الحديث عن أبى الفضل : مكرو بن محمد القرشى الدفقى المعروف بابن أبي الصقر وكان عالما محدثا فاضلا ت ٦٣٥هـ.

٧-ابن الحاجب : أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، و الفقيه المالكى صاحب المصنفات المفيدة ففي الفقه له مختصر ذائع الصيت. وفي النحو بلغت مصنفاته المشرق والمغرب ومنها الكافية في النحو ،الشافية في الصرف، الأمالي، شرح المفصل . ت ابن الحاجب ٦٤٦هـ(١)

"توصل إلي ذلك الزميل الباحث الدكتور/ عامر أبو عميرة في رسالته للدكتوراه ص ٥٤ .

مكانته في الدراسات اللغوية :

يمكن التعرف علي مكانته من خلال نقل بعض أقوال علماء السلف عنه.

- قال ابن الجزرى: هو إمام زمانه في العربية
- وقال مرة ثانية: كان ذهنه من أصح الأذهان علي ملازمة العمل والنظر والكتـ والتأليف وبدون ذلك يصير أستاذ أهل زمانه وإمام أوانه"
- قال السيوطى : "كان إماما في القراءات وعللها وأما اللغة فكان إليه المنتهى الإكثار من نقل غريبها والإطلاع علي وحشيتها وأما النحو
- والتصريف فكان فيها بحرا لا يجارى وبرا لا يبارى"
- قال الذهبى:" صرف همته إلي إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز قصـ السبق وأدى علي المتقدمين فكان واحد العصر في علم اللسان" وكان رحـ الله كثير المطالعة سردج المراجعة لا يكتب شيئا من
- محفوظة حتي يراجعه في عله وقيل انه لم يكن يرى إلا وهو يصلى أو يتلـو يصنف أو يقرأ وكان لا يحب المناظرة.

تلامـذتـه:

انتفع بابن مالك خافه كثير وتخرج به أئمة ومن هؤلاء :

١-ولده بدر الدين محمد المعروف بابن الناظم وله شرح علي ألفية أبيه ت ٦٨٦هـ

٢-قاضى القضاه بدر الدين بن حماعة ت ٦٩٠هـ

٣-الإمام النووى : أبو ذكريا يحى بن شرف الشافعى المتوفي ٦٧٦هـ وقيل أنـه د المقصود في قوله في الألفية:

وهـل فتـى فيكـم فما خل لنا ورجـل مـن الكـرام عنـدنـا

٤-ابن النحاس بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٦٩٨هـ وغيرهمز .

مصنفـــاتـــه:

أولا في النحو والصرف:

١- الكافية الشافية وهى ثلاثة آلاف بيت

٢- الخلاصة وهى المشهورة بالألفية

٣- التسهيل

٤-شرح التسهيل

٥- عمدة الحافظ وعدة اللافظ وشرحه

٦- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح

٧- شرح لأمية الأفعال

٨- شرح.الجزولية لأبي عيسى الجزولي

ثانيا: في القراءات :

٩- المالكية في القراءات

١٠- الدالية في القراءات وهى منظومة

١١- وله كتاب في العروض

وفـــاتـــه:

توفي ابن مالك رحمه الله بدمشق في ثاني عشر شعبان سنة اثنين وسبعين وستمائة بعد عمر ناهز السبعين سنه وصلى عليه بالجامع الأموى ودفن بسفح قاسيون بالروضة، طيب الله ثراه.

مصادر ترجمته:

١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى -تحقيق أبو الفضل- المكتبة العوية- بيروت د.ت.ج١ صـ١٣٤ وما بعدها

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي- المكتب التجاري بالقاهرة سنة ١٣٥هـ ج٥صـ٣٣٩

٣- البداية والنهاية لابن كثير تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين- دار الديان للتراث بالقاهرة- ١٩٨٩ ج١٣ صـ٢٦٧

٤- النجوم الزاهرة في أخبار نجوم مصر والقاهرة لابن تغرى بدوى- المؤسسة العالمية للتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة د.ت.ج٧ ص ٢٤٥

٥- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى عناية براجشترا- طبع السعادة بالقاهرة الأولي ١٢٥١هـ ج٢ص١٨٠ وما بعدها.

٦- تاريخ الأدب العربى-كارل بروكمان-رمضان عبد التواب -دار المعارف الثالثة ١٩٨٣ ج٥ ص ٢٧٥:٢٩٦

٧- معجم المؤلفين عمر رضا كحال- مؤسسة الرسالة - الأولي ١٩٩٣ ج٣ص٤٥٠

٨- المختصر في أخبار البشر لأبى الفداء تحقيق محمد زينهم وآخر دار المعارف الأولي ١٩٩٨ ج٤ص١٥

٩- كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة دار الفكر العربي د.ت ٨٢،١١٩،١٣٣،١٤٤ ومواضع أخرى

١٠- الوسيط في تاريخ النحو العربي د. عبد الكريم الأسعد- دار الشواق الرياض الأولى ١٩٩٢ صـ١٦٦ وما بعدها

ثانيا ابن عقيل

بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل الشافعى المولود سنة ٦٩٤ هـ أو ٦٩٨هـ أو ٧٠٠هـ.

عاش ابن عقيل في بداية حياته بالقاهرة فدرس القراءات والفقه ثم النحو وبرع فيه حتي أصبح نحوى الديار المصرية الأول في زمانه.

أساتذته:

-الجلال القزويني في البلاغة

-الزين الكتاني في الفقه

-التقي الصائغ في القراءات

-أبو حيان الأندلسي في النحو صاحب المصنفات المفيدة ومنها البحر المحيط.
التذكرة في النحو، ارتشاف الغرب من لسان العرب، التذييل والتكميل وغيرها ت ٧٤٥هـ وقد لازمه غابن عقيل اثني عشر عاما.

تولى ابن عقيل التدريس في جامع القلعة والتفسير في الجامع الطولوني وختم فيه تفسير القرآن ثلاث مرات في ثلاث وعشرين سنة. ومات وهو يفسره للمرة الرابعة- تغمده الله بواسع رحمته وقد تولي ابن عقيل منصب قاضي القضاة بمصر.

مصنفـــاتـــــه:

١- شرح تسهيل ابن مالك المسمي" المساعد علي تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"
٢- شرح علي ألفية ابن مالك وعلي هذا الشح صنفت حواشى متعددة منها حاشية للسيوطى ت ٩١١هـ وحاشية الخضرى ت ١٢٨٧هـ، وحاشية للسجاعى المتوفي ١١٩٧هـ
٣- الجامع النفيس في فقه الشافعية ولم يتمه
٤- تفسير للقرآن حتي آخر سورة آل عمران وهو تفسير مطول
٥- وله تفسير مختصر اسمه" التعليق الوجيز علي كتاب الله العزيز"
٦- مختصر شرح الرافعى لوجيز الغزالى في فروع الفقه الشافعى

تـلامـــذتـــــه:

١- شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى الذى تزوج بابنته. الذى أنجب منها ،تولى القضاء حفيده(جلال الدين) وأخوه (بدر الدين)

قال عنه أبو حيان الأندلسى : "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل "

توفي ابن عقيل سنة ٧٦٩هـ بالقاهرة وقد اشتهر ابن عقيل في ميدان الدراسات اللغوية بشرحه لألفية ابن مالك وهو شرح مختصر رد فيه علي ابن الناظم وصور فيه آراء النحاة ومذاهبهم تصويرا واضحا وخاصة حين يخالفهم ابن مالك وكثيرا ما كان يتوقف في شرح مخالفات ابن مالك لسيبويه والبصريين وينحاز لهما وكما سبق قامت علي هذا الشرح عدة حواس:

١-بغية الوعاة للسيوطي-سابقه ج٢صـ٤٧،٤٨

٢-الوسيط في تاريخ النحو- سابق صـ٢١٤ .

٣-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سابق ج٦صـ٢١٤،٢١٥

٤-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنه لابن حجر العسقلاني ج٢ صـ٢٦٦،٢٦٩

٥-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي —دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩٧ ج٢صـ١٦٠وج١صـ٤٤٠

٦-النجوم الزاهرة لابن تغرى بدوى سابق ج١١صـ١٠٠،١٠١

٧-معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة سابق ج٢ صـ٢٥١

ألفية ابن مالك : -

وضع ابن مالك أرجوزة طويلة تقارب أبياتها الثلاثة آلاف بيت من مزدوج الرجز ، تضم النحو و الصرف معاً ، ثم شرحها نثراً بكتاب سماه ((الوافية)) ثم لخصها بكتاب سماه ((الخلاصة)) ، الذى عرف بـ ((الألفية)) نسبة إلى عدد أبياته التى بلغت الألف بيت . و قد نهج ابن مالك فيها نهج نحوى قبله كان له فضل السبق فى هذا المضمار هو ابن معط (توفى سنة ٥٦٤ هـ) ، وقد عرف ابن مالك بهذا السبق ذاهباً إلى ألفيته أحسن من ألفية ابن معط ، فقال : -

و تقتضى رضاً بغير سخط	فائقة ألفية ابن معط
و هو بسبق حائز تفضيلا	مستوجب ثنائى الجميلا
و الله يقضى بهبات وافره	لى و له فى درجات الآخره

و نشير هنا إلى أن السيوطى بعده وضع ألفية وقال فى أولها :

((فائقة ألفية ابن مالك)) ، و كذلك جاء بعد السيوطى الأجهورى المالكى فوضع ألفية أخرى زاد فيها على السيوطى ، و قال فى مقدمتها : ((فائقة ألفية السيوطى)) .

و أبيات الألفية كلها من كامل الرجز ، و تمتاز عباراتها بالرقة والدقة و الإيجاز فى صياغة الأحكام ، و لذلك يسهل حفظها . و يظهر أن ابن مالك قد حرص على

هذا الأمر لأن غايته من ألفيته غاية تعليمية . و قد جعل أبواب النحو في القسم الأول منها ، و أبواب الصرف في قسمها الأخير .

و قد نالت ألفية ابن مالك من الشهرة ما لم تنله أي ألفية أخرى ، أو كتاب نحوي آخر ، فقد بلغت شروحها وشروح شروحها و الذيول و الحواشي عليها العشرات، كما ترجمت إلى الفرنسية و الإيطالية و طبعت طبعات يصعب إحصاؤها .

مخطوطات كتاب ((شرح ابن عقيل)) : -

لكتاب ((شرح ابن عقيل)) مخطوطات كثيرة مبعثرة في مكتبات العالم الكبرى ، و قد أحصى كارل بروكلمان العشرات منها مبينا أماكنها و أرقامها في هذه الأماكن ، كما أحصت أسماء الحمصي إحدى عشرة نسخة منها في المكتبة الظاهرية بدمشق (حالياً في مكتبة الأسد) ، و قد وصفت وصفاً علمياً كل نسخة منها.

طبعات كتاب شرح ابن عقيل : -

طبع الكتاب مرات كثيرة في بيروت و القاهرة وغيرهما من مراكز النشر ، وكثرة هذه الطبعات إن دلت على شئ فإنما تدل على أهمية الكتاب و رغبة القراء والمتعلمين و الباحثين في اقتنائه ، ونذكر من هذه الطبعات: -

- طبعات بولاق في القاهرة سنة ١٢٥١ هـ ، وسنة ١٢٥٢ هـ ، وسنة ١٢٨١ هـ .
- طبعة المطبعة الكاستيلية في القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ .
- طبعة محمد مصطفى في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .
- طبعة المطبعة الخيرية في القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ .
- طبعة المطبعة الشرقية في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .
- طبعة مطبعة الإتحاد في بيروت بتصحيح عبد سالم السلطي . سنة ١٨٧٢م ، وسنة ١٨٨٥ م ، و سنة ١٨٨٩ م .
- طبعة ليبسك (ألمانيا) باعتناء الأستاذ ديتريشي سنة ١٨٥١ م .
- طبعة برلين سنة ١٨٥٢ م .
- طبعة بولاق مع حاشية أحمد السجاعي سنة ١٢٩٠ هـ و سنة ١٢٩١ هـ .

- طبعة مصر و بهامشها البهجة المرضية في شرح الألفية للجلال السيوطي سنة ١٣٢٢ هـ .
- طبعة بولاق مذيلة بشرح أبيات الشواهد لمحمد قطة العدوي سنة ١٢٦٤ هـ ، وسنة ١٢٦٥ هـ .
- طبعة المكتبة التجارية بمصر . بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، و هي أشهر الطبعات (ط ١٤ سنة ١٩٦٤) .
- طبعة جروس (طرابلس . لبنان) بضبط و شرح الدكتور أحمد سليم الحمصي والدكتور محمد أحمد قاسم ، سنة ١٩٩٠ م .
- طبعة دار الجيل في بيروت بتحقيق حنا الفاخوري (ط ٥ . سنة ١٩٩٧ م) .
- طبعة دار العلم للملايين في بيروت بتحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي . سنة ١٩٩٢ م .
- طبعة دار الكتاب العربي ببيروت بتحقيق الدكتور هادي حسن حمودي ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣ م .
- طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت بتحقيق الدكتور محمود مصطفى حلاوي ، سنة ١٩٩٦ م .

٨-الشروحات والحواشي على " شرح ابن عقيل":

لاقى شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك اهتماما كبيرا من قبل العلماء فأقبلوا عليه يدرسونه ويضعون حوله الحواشي والشروح ومنها:

- شرح للأبيات لمحمد بن أحمد بن محمد غازي العثماني المكناسي (المتوفى سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م)(خ).
- شرح للأبيات لمحمد بن محمد بن أحمد الشافعي (خ).
- شرح لابن الميلة (حوالي سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م)(خ).
- حاشية لأحمد بن أحمد السجاعي (المتوفى سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٢م)أكمله في سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م وطبع في بولاق سنة ١٢٧٠هـ وسنة ١٢٨٢هـ وسنة

١٣٠٢هـوفى القاهرة سنة ١٢٩٨هـ وسنة ١٣٠٦هـ وطبع فى تقريرات لمحمد بن محمد الإنبا (المتوفى سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م) فى بولاق سنة ١٢٩٦هـ.

- حاشية لمحمد الخضرى الدمياطى (المتوفى سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م) ألفه سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٢هـ وسنة ١٣١٢هـ وبالقاهرة سنة ١٢٧٢هـ وسنة ١٢٨٢هـ وسنة ١٢٨٧هـ وسنة ١٢٩١هـ وسنة ١٣٠٣هـ وسنة ١٣٠٥هـ وسنة ١٣١٧هـ وسنة ١٣٢٢هـ وسنة ١٣٤٥هـ .
- شرح للشواهد لعبد المنعم الجرجاوى(المتوفى حوالى سنة ١١٧٥هـ/١٧٨١م)، طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٠هـ وسنة ١٢٩٥هـ وسنة ١٣٠١هـ وسنة ١٣٠٨هـ وعلى هامشه شرح الشواهد لمحمد بن قطة العدوى في القاهرة سنة ١٣١١هـ وسنة ١٣٢٥هـ .
- شرح لمجهول (خ).
- حاشية لعطية بن عطية الأجهوري (المتوفى سنة ١١٩٤هـ/١٧٨٠م).
- حاشية لمحمد الداودي ألفه سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م(خ).
- القول الجميل لأحمد بن عمر القاهرى الأسقاطى الحنفى (المتوفى سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م).

٩- منهج ابن عقيل فى شرحه للألفية :

يتميز منهج ابن عقيل فى شرحه للألفية بما يلى:

١- التوسط فى الشرح بين الإيجاز والإطناب ولذلك قال العماد الحنبلى : إن ابن عقيل " شرح الألفية شرحا متوسطا حسنا "

٢- سن عرض المسائل النحوية واختصارها وعرضها فغاية ابن عقيل من شرحه غاية تعليمية تهدف إلى تقريب قواعد النحو العربى من إفهام المتعلمين وشرحها شرحا موجزا مبسطا .

٣- الاعتناء بمسائل النحو شرحا وتفصيلا أكثر من اعتنائه بمسائل الصرف فاختصر فى النصف الثانى جداً ولعل ذلك يعود إلى أمرين : أولهما اشتغال ابن عقيل بالنحو أكثر من اشتغاله بالصرف وثانيهما أن

٤- مسائل النحو وشواهده أغنى من مسائل الصرف وشواهده وهذه الظاهرة أعنى التفاوت في إسهاب الشرح واختصاره نجدها عند شراح الألفية عامة.

٥- الإكثار من الاستشهاد بالأبيات الشعرية وقد بلغت ثلاثمائة وتسعا وخمسين شاهدا و بالآيات القرآنية وكل الشواهد الشعرية التى استشهد بها هى لشعراء يحتج بأشعارهم أى لشعراء عاشوا فى العصر الذى عرف بعصر الاحتجاج وهو العصر الذى ينتهى فى منتصف القرن الثانى الهجرى .

٦- الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف خلافا لشيخه أبى حيان إلا أنه لم يكثر من الاستشهاد به .

٧- مجاراة المذهب البصرى عموما وقد ظهر مذهبه البصرى عن طريق :

- الاكثار من الاعتماد على آراء سيبويه وغيره من نحاة البصرة .
- وصف المذهب البصرى فى أماكن عدة بأنه صحيح أو أعدل المذاهب .
- مجاراة البصريين فى مسائل خلافية دون تسميتهم .

ومع هذا الاتجاه لم يلتزم ابن عقيل بالمذهب البصرى فى كل أحكامه فقد خالفه فى عدة مسائل منها مسألة نقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف الذى قبله مهما كانت تلك الحركة حيث قال: "ومذهب الكوفيين أولي لأنهم نقلوه عن العرب " كما أنه كان يعرض أحيانا للآراء المختلفة فى المسألة الواحدة دون أن يتبنى رأيا منها .

٨ – عدم الاكتفاء بالشرح إذ قد يتعداه أحيانا إلى تخطئ ابن مالك أو الدفاع عنه أو زيادة أوجه أخرى من المسألة أو تفصيلات أهملها الناظم .

وخلاصة القول أن ابن عقيل بدا لنا من خلال هذا المنهج الذى انتهجه عالما أحاط إحاطة شاملة بمسائل النحو ومذاهب النحاة فيها ثم عرض لهذه المسائل عرض الخبير ذى القدرة الكبيرة على جودة العرض والترتيب والإستنتاج. كل ذلك دفع أستاذه أبو حيان إلى القول:" ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل".

نموذج من شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك

٧٢- اسم يعين المسمى مطلقا علمه: كجعفر وخرنقا

٧٣- وقرن وعدن ولاحق وشذقم وهيلة وواشق

العلم هو: الاسم الذى يعين مسماه مطلقا أى بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة ؛ فالاسم: جنس يشمل النكرة والمعرفة و"يعين مسماه" : فصل أخرج النكرة و" بلا قيد" أخرج بقية المعارف كالمضمر فإنه يعين مسماه بقيد التكلم كـ"أنـا" أو الخطاب كـ"أنت" أو الغيبة كـ"هو" ثم مثل الشيخ بأعلام الأناسي وغيرهم ، تنبيهات على أن مسميات الأعلام العقلاء وغيرهم من المألوفات: فـ"جعفر": اسم رجل و" خرنق": اسم امرأة من شعراء العرب وهى أخت طرفة بن العبد لأمه و" قرن": اسم قبيلة و"عدن": اسم مكان و" لاحق": اسم فرسو" شذقم": اسم جمل و" هيلة": اسم كلب .

٧٤- واسما أتى وكنية ولقبا . وأخرن ذا إن سواه صحبا

ينقسم العلم إلى ثلاثة أقسام : إلى اسم وكنية ولقب والمراد بالاسم هنا ما ليس بكنية ولا لقب كـ" زيد" و"عمرو" وبالكنية : ما كان فى أوله "أب" أو "أم" كـ"أبى عبد الله" و"أم الخير" وباللقب: ما أشعر بمدح كـ" زين العابدين " أو ذم كـ" أنف الناقة " وأشار بقوله :" وأخرن ذا-إلخ " إلى أن اللقب إذا صحب الاسم وجب تأخيره كـ" زيد أنف الناقة " ولا يجوز تقديمه على الاسم فلا تقول :" أنف الناقة زيد " إلا قليلا ومن قوله:[من البسيط]

ش٢٢- بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا ببطن شريان يعوى حوله الذيب وظاهر كلام المصنف أنه تأخير اللقب إذا صحب سواه ويدخل تحت قوله " سواه " الاسم والكنية وهو إنما يجب تأخيره مع الاسم فأما مع الكنية فأنت بالخبار بين أن تقدم الكنية على اللقب فتقول :" أبو عبد الله زين العابدين" وبين أن تقدم اللقب على الكنية فتقول:" زين العابدين أبو عبد الله " ويوجد فى بعض النسخ بدل قوله :* " وأخرن ذا إن سواه صحبا"*:*" واجعل أخيرا ذا إذا اسما صحبا" * وهو أحسن منه لسلامته مما ورد على هذا فإنه نص فى أنه إنما يجب تأخير اللقب إذا صحب الاسم

ومفهومه أنه لا يجب ذلك مع الكنية وهو كذلك كما تقدم ولو قال :" وأخرن ذا إذا إن سواه صحبا" لما ورد عليه شئ إذ يصير التقدير : وخر اللقب إذا صحب سوى الكنية وهو الاسم فكأنه قال : وأخر اللقب إذا صحب الاسم .

٧٥- وإن يكونا مفردين فأضف حتما وإلا اتبع الذى ردف إذا اجتمع الاسم واللقب : فإما أن يكونا مفردين أو مركبين أو الاسم مركبا واللقب مفردا أو الاسم مفردا واللقب مركبا.

فإن كانا مفردين وجب عند البصريين الإضافة نحو:" هذا سعيد كرز " و" رأيت سعيد كرز " و"مررت بسعيد كرز" وأجاز الكوفيون الاتباع فتقول : " هذا سعيد كرز" و"رأيت سعيد كرزا " و"مررت بسعيد كرز" ووافقهم المصنف على ذلك فى غير هذا الكتاب.

وإن لم يكونا مفردين- بأن كانا مركبين نحو:" عبد الله أنف الناقة " أو مركبا ومفردا نحو:" عبد الله كرز" و"سعيد أنف الناقة "- وجب الاتباع فتتبع الثانى الاول فى إعرابه ويجوز القطع إلى الرفع أو النصب نحو:"مررت بزيد أنف الناقة " فالرفع على إضمار مبتدأ والتقدير : هو أنف الناقة والنصب على إضمار فعل والتقدير: أعنى أنف الناقة فيقطع مع المرفوع إلى النصب ومع المنصوب إلى الرفع ومع المجرور إلى النصب أو الرفع نحو :"هذا زيد أنف الناقة " و"رأيت زيدا أنف الناقة " و"مررت بزيد أنف الناقة " و"أنف الناقة ".

٧٦- ومنه منقول: كفضل وأسد وذو ارتجال: كسعاد وأدد

٧٧- وجملة وما بمزج ركبا ذا إن بغير "ويه " تم أعربا

٧٨- وشاع فى الأعلام ذو الاضافة كعبد شمس وأبى قحافة ينقسم العلم إلى : مرتجل وإلى منقول فالمرتجل هو: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية فى غيرها كـ"سعاد"و"أدد" والمنقول: ما سبق له استعمال فى غير العلمية والنقل اما من صفة كـ"حارث " أو من مصدر كـ" فضل" أو من اسم جنس كـ "أسد" وهذه تكون معربة أو من جملة :كـ" قام زيد" و" زيد قائم" وحكمها أنها تحكى فتقول:" جاءنى زيد قائم" و"رأيت زيد قائم" و"مررت بزيد قائم" وهذه هى الأعلام المركبة.

ومنه أيضـا: ما ركب تركيب مزج كـ" بعلبك " و"معدى كرب" و"سيبويه" وذكر المصنف أن المركب تركيب مزج: إن ختم بغير"ويه" أعرب ومفهومه أنه إن ختم ب"ويه" لا يعرب بل يبنى وهو كما ذكره فتقول:" جاءنى بعلبك" و"رأيت بعلبك" و" مررت ببعلبك" ويجوز أن يعرب أيضا إعراب المتضايفين فتقول :"جاءنى حضر موت" و"رأيت حضر موت " و"مررت بحضر موت" وتقول:" جاءنى سيبويه" و"رأيت سيبويه " و"مررت بسيبويه" فتبنيه على الكسر وأجاز بعضهم إعرابه إعراب ما لا ينصرف نحو : "جاءنى سيبويه" و"رأيت سيبويه" و"مررت بسيبويه" .

ومنها ما ركب تركيب إضافة: كـ" عبد شمس"و"أبى قحافة " وهو معرب فتقول:" جاءنى عبد شمس وأبى قحافة" و"رأيت عبد شمس وأبى قحافة " و"مررت بعبد شمس وأبى قحافة " .

ونبه بالمثالين على أن الجزء الأول يكون معربا بالحركات كـ"عبد" وبالحروف كـ"أبى" وأن الجزء الثانى يكون منصرفا كـ"شمس" وغير منصرف كـ" قحافة ".

٧٩- ووضعوا لبعض الأجناس علم	كعلم الأشخاص لفظا وهو عم
٨٠- من ذاك: أم عريط للعقرب	وهكـذا ثعالة للثعلب
٨١- ومثله برة للمبرة	كـذا فجار علم للفجرة

العلم على قسمين : علم أشخاص وعلم أجناس.

فعلم الشخص له حكمان : معنوى وهو يراد به واحد بعينه كـ" زيد" و"أحمد" ولفظى وهو صحة مجىء الحال متأخرة عنه نحو:"جاءنى زيد ضاحكا" ومنعه من الصرف سببه مع سبب غير العلمية نحو "هذا أحمد" ومنع دخول الألف واللام عليه فلا تقول: "جاء العمرو" . وعلم الجنس كعلم الشخص فى حكمه اللفظى فتقول:" هذا أسامه مقبلا " فتمنعه من الصرف وتأتى بالحال بعده ولا تدخل عليه الألف واللام فلا تقول :"هذا أسامة ".

وحكم علم الجنس فى المعنى كحكم النكرة : من جهة أنه لا يخص واحدا بعينه فكل أسد يصدق عليه "أسامة " وكل عقرب يصدق عليها "أم عريط" وكل ثعلب يصدق عليه " ثعالة ".

وعلم الجنس: يكون للشخص كما تقدم ويكون للمعنى كما مثل بقوله:" برة للمبرة وفجار للفجرة ".

هـــوامـــش

راجع ترجمة ابن مالك في :

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ١٣٤ وما بعدها. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٥/٣٣٩، البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص٢٦٧، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر القاهرة ج٧ ص ٢٤٥. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج٢ ص١٨٠ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ج٥ ص٢٧٥:٢٩٦. معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج٣ ص٤٥٠. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج٤ ص١٥. كشف الظنون لأسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ص٨٢،١١٩،١٣٣،١٤٤،ومواضع أخرى. الوسيط في تاريخ النمو العربي د. عبد الكريم الأسعد ص ١٦٦ وما بعدها.

وراجع ترجمة ابن عقيل وما يدور حوله من قضايا في :

بغية الوعاة للسيوطي ج٢ ص٤٧،٤٨، الوسيط في تاريخ النمو ص٢١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ص ٢١٤،٢١٥، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٢٦٦،٢٦٩، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج٢ ص ١٦٠،ج١ ص٤٤٠، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج١١ ص ١٠٠،١٠١، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٢ ص٢٥١.

القضايا النحوية والعرفية في أي حالات في أمالي ابن الحاجب. رسالة دكتوراه إعداد عامر أو بعميرة مخطوطة بكلية الآداب جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م.

تجدر الإشارة قبل أن ننتهي من ذكر مراجعنا إلى أن بعض الدارسين المحدثين شرحوا ألفية ابن مالك شرحا مفصلا دقيقا واعيا، يأتي في مقدمة هؤلاء أ.د. زين كامل الخويسكي في شرحه ألفية ابن مالك المنشور بدار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٦م.

" دراسة المعاجم العربية وأنواعها"

يجدر بنا قبل دراسة نموذج المعجم العربي أن نشير في عجالة إلي تاريخ المعاجم العربية وأهم الأقسام التي دارت في فلكها، إذ أن لفظة معجم تطلق علي نوع من الكتب التي تعني في مادتها بدراسة اللغة، وهي تعالج الألفاظ بطريقتين :-

١- النوع الأول معجم يدور حول معني الكلمة شرحا وإيضاحا ليخرج منها بما يعرف بالمعنى المعجمى، ومادة هذه المعاجم هى الكلمات التى يدور حولها نشاطه بالشرح والتحليل تاريخيا أو وصفيا ليحقق غايته في التصريف الدقيق للكلمة وتطوراتها واشتقاقاتها وطريقة نطقها وكيفية هجائها ويعطى مداخلها من حيث المادة و الصيغة ونوعها الجراماطيقي أى كل ما يتصل بالمنهج الصوتي والصرفي والاشتقاق والنحوى(١) وقد سمى ابن سيده هذا النوع الأول من المعاجم معجم الألفاظ أو المعجم المجنس(٢)

٢-والنوع الثانى من المعاجم يطلق علي الكتب التي تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو بموضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب وقد أسمى ابن سيده هذا النوع الثاني المعجم المبوب أو معجم المعاني(٣).

فالمعاجم علي هذا بنوعيها هي كتب اللغة التي ترتب فيها الألفاظ علي حروف المعجم أو علي المعاني المتشابهة أو المتقاربة، وقد استقط هذه المعاجم مادتها الأساسية من أفواه العرب بطريقة أو بأخرى، ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم وألفاظهم وعلومهم وآدابهم.

وقد كانت بداية تجميع هذه المواد بتدوينها في كتب مستقلة كل موضوع علي حده، كما صنع الأصمعى في كتب الإبل وأسماء الوحوش وخلق الإنسان والخيل والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها، وأبو زيد في كتب اللبن والمطر ويدخل ضمن هذا القسم ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهى تشتمل علي النادر استعماله من الألفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائى وأبى زيد والشيبانى والقالي وكتب الغريب في اللغة كغريب أبى عبيد والشيباني وابن الأعرابى وسائر الكتب

التي تبحث في اللغة واشتقاقها وألفاظها وكذلك كتب الأضداد والأشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وكتاب البارع للقالي وأبنية الأفعال لابن القوطية وديوان الأدب لاسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ خال الجوهري صاحب تاج اللغة وهكذا ... إلخ.

والجدير بالذكر أن علماء اللغة كانوا سابقين في استعمال لفظة المعجم فوضع أبو يعلي أحمد بن المثنى (٢١٠-٣٠٧هـ) في كتابيه:"المعجم الكبير"و" المعجم الصغير" ثم أطلق-في مرحلة تالية- هذا اللفظ علي المباحث اللغوية التي تعالج اللفظة فتشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعني أو بموضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب ... إلي آخره(٤).

ومما يجدر ذكره أننا إذا نظرنا إلي مادة "عجم" في المعاجم العربية وجدنا أن لفظة معجم تحمل دلالات لغوية متعددة (٥)، وقد جاء في باب السلب لابن جني أن الهمزة في أعجم لسلب معني الإستفهام (٦) وكما يقول ابن جني أن مادة"عجم" وتصريفاتها أين وقعت في كلام العرب إنما هي للإبهام وضد البيان-أو هي كما يقول في سر صناعته الإعراب"إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح (٧) وأن الهمزة للسلب أي سلب المعنى الأصلي وإثبات عكسه ومعناه أن إعجام الكتاب أي إزالة إستعجامه بالنقط -كما أن الإعجام هو تنقيط الحروف لتمييز ما بينها من إبهام ومن هنا سميت حروف الهجاء حروف المعجم وجاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات وغموضها معجما (٨)

وقد لاحظ د.البدراوي زهران أن مصطلح المعجم جاءنا في البداية من علماء الحديث الذين كانوا سابقين في استعمال المصطلح: فالإمام البخاري قد كتب في صحيحه "باب قسميه من سمي من أهل بدر علي حروف المعجم(٩).وأن أبا يعلي أحمد بن علي بن المثنى وضع معجما سماه معجم الصحابة وأن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي وضع كتابين في أسماء الصحابة (١٠) سماهما: المعجم الكبير والمعجم الصغير .

وقد تعددت مدلولات المصطلح إلى أمور أخرى في القرن الرابع الهجرى فأطلق المصطلح علي كثير من الكتب مثل المعجم الكبير والصغير والأوسط في قراءات القرآن وأسمائه لأبى يكن محمد بن الحسن النقاش الموصلى ومعجم الشيوخ لأبى الحسن عبد الباقى بن قانع بن مرزوق البغدادى ومعجم الشيوخ لأبى بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى وأطلقها ياقوت الحموى علي معجم البلدان ومعجم الأدباء وأطلقها عمر رضا كحالة علي معجم قبائل العرب وأطلق اللغويون كلمة المعجم بمعناها المتعارف عليه اليوم .

أما كلمة قاموس فجاءت من أن مادة "قمس" تعنى البحر العظيم أو وسطه أو معظمه وقد أطلق علماء العربية الأقدمون اسما من أسماء البحر أو صفة من صفاته علي مؤلفاتهم في هذا المجال تعظيما له بما حواه من خضم هائل من لغة التى هي بحر لا يدرك شاطئه. فأطلق الصاحب ابن عباد علي معجمه اسم"المحيط" وأطلق ابن سيدة علي معجمه اسم"المحكم والمحيط الأعظم" ويسمى الصاغاني معجمه"العباب" أو"مجمع البحرين" وأطلق الفيروز بادى علي معجمه اسم "القاموس المحيط" وكان حظ القاموس المحيط أن انتشر وشاع اسمه بين جماهير أهل العربية وارتبط مصطلح قاموس في الأذهان بدلالة لفظ معجم حتى في أذهان المتخصصين (١١).

أنواع المعاجم العربية(١٢)

تصدرت أنواع المعاجم التى تعنى بدراسة اللغة واشتقاقاتها وبنياتها وموضوعاتها وانقسمت أقساما متعددة نجملها فيما ياتى مع ذكر أمثلة لها :

١ – معجم الألفاظ المفردة : –

هذا النوع من المعاجم هو الذى يشرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الإستعمال علي نحو ما، وقد تحمل مصنفو هذه المعاجم من القدماء عبء التصنيف الفردى بعكس المعجم الحديثة التى اتخذت طابعا جماعيا في انجاز العمل كما يحدث في المجامع اللغوية .

ومن أمثلة تلك المعجم التى نتحدث عنها : العبير للخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة ١٧٥هـ، ومختصر العين قام به الزبيدى وكثير من الأعمال التى قامت معتمدة على هذا المعجم، ومعجم الصحاح للجوهرى (٣٩٨هـ)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، وقد عنى بترتيبه محمود خاطر، وتهذيب الصحاح لمحمود الزنجانى، ولسان العرب لابن منظور (٧١١هـ)، والقاموس المحيط للفيروزابادى (٨١٧هـ)، وقطر المحيط لبطرس البستانى وتاج العروس للزبيدى (١٢٠٥هـ).

وتجدر الإشارة هنا إلي أن هذه المعاجم كلها التزمت في ترتيب مادتها أن يكون بابها الحرف الأخير: وقد ساعدهم علي هذا الإختيار أن لام الكلمة أثبت من فائها إضافة إلي تقديس الحرف الأخير في قوافي الشعر وسجع النثر غير أن هذا أوقعهم في بعض العيوب وهذا ما سنشير إليه عند دراستنا معجم لسان العرب لابن منظور أما الزمخشرى فقد رتب معجمه أساس البلاغة ترتيبا هجائيا بأوائل الألفاظ بعد تجريدها، وهذا عينه ما صنعه المجمع اللغوى في معجمه الكبير والوسيط والوجيز ويتميز أساس البلاغة بإيراد النصوص البلاغية والأدبية الدالة علي المعانى المختلفة للفظة مبتدئا بالمعانى الحقيقية ثم المجازية مع وفرة الشواهد وهو بهذا يعد معلما من المعالم الهامة علي حركة التأليف المعجمى في التراث.

٢-معاجم المعانى-أو الموضوعات: -

وهذا النوع الثانى من المعاجم العربية يورد المعانى في أبواب ويرتب الألفاظ اللغوية حسب موضوعاتها ومنها: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمزانى وفقه اللغة للثعالبى والمخصص لابن سيدة(٤٥٨هـ) ويقع في سبعة عشرة جزءا.

٣- المعاجم التأصيلية أو معاجم الألفاظ الدخيلة:

وهى التى تبحث في أصول الألفاظ وتوقف الباحث علي أصل الكلمة إن كانت عربية الأصل أو غير عربية وتبحث في أصل الدخيل حيث يذكر أمام كل لفظ دخيل أصله في لغته الأصلية ومعناه وأمثلة استعمالاته .ومنه كتاب العرب

للجواليقى(٥٤٠هـ) وكتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجى(١٠٦٩هـ).

٤- المعاجم التاريخية أو التطورية:

من الثابت أن الألفاظ مثل الكائن الحى تولد وتشب وتنمو وتتطور وقد تموت أحياناً، و هى فى هذه الرحلة قد تتغير مدلولاتها و تتسع دلالتها أو تضيف ، لذا أنشئت هذه المعاجم التى تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ ثم تتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور ، فهى تدرس مراحل تغير معنى لفظ من الألفاظ عبر العصور و كيف تطور هذا المعنى حتى اليوم مروراً بالعصور المختلفة سواء فى المعنى أو المضمون .

٥ — المعاجم المتخصصة : —

و هى التى تجمع ألفاظ علم معين و مصطلحاته أو فن ما ، ثم تشرح كل لفظ حسب استعمال أهله و المتخصصين فيه ، و قد قدم مجمع اللغة العربية أنواعاً مختلفة من المعاجم لكل التخصصات .

و من المعاجم التراثية المتخصصة " التذكرة " لداود الأنطاكى الغرير و قد وضع فى قسم كبير منه معجماً للعقاقير و الأعشاب الطبية ، و كتاب " حياة الحيوان الكبرى " للدميرى (١٣٤١ – ١٤٠٥ م) الذى جمع فيه أسماء الحيوان و الحشرات والزواحف و الطيور معرفاً بها و بخصائص كل منها على طريقة عصره .

٦ — المعاجم ذات الطابع الموسوعى : —

إن هذا النوع من المعاجم يأخذ من المعجم الترتيب الهجائى للمادة كما فى معجم البلدان لياقوت و معجم الأدباء له كذلك ، و بعض الكتب التى تحمل فى عناوينها كلمة تصلح أن تكون مرادفاً لكلمة موسوعة و هى أقرب إلى المعجم مثل الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية لابن البيطار و هو من النصف الأول من القرن السابع الهجرى . حيث جمع فيه أسماء النباتات و الحيوانات و المعادن التى تتخذ منها الأدوية و العقاقير ، و عرف بالمادة و ذكر أسمائها فى اللغات المختلفة و وصفها وبين أين توجد ، و ذكر ما قاله اليونان و العرب فى منافعها و مضارها ، و وضح طريقة

تحضير الدواء منها و طريقة استعماله . و نبه على الوهم الذى يقع فيه السابقون بسبب اعتمادهم على النقل . و بين أن ما وصل هو إليه نتيجة التجربة و المشاهدة هذه بعض أنواع المعاجم العربية التى اكتفينا بالإشارة إليها دون غيرها من الأنواع الأخرى لعدم الإثقال و لأن غيرها ليس ذا بال فى مجال دراسة المعاجم التراثية إذ هى فى معظمها معاجم حديثة الوضع .

من ذلك المعاجم المصورة التى تثبت صور المواد المحسة . و قد استعان المجمع اللغوى فى مصر بهذه الطريقة التى تسهم إلى حد كبير فى توصيل المعنى المراد ، و منها المعاجم المختصرة كالمختار و الوجيز ، و معاجم اللهجات ، و معاجم الشعراء و الكتاب ويسجل المفردات التى استعملها فى نتاجه الأدبى ، و دوائر المعارف التى تعد مرجعاً للتعريف بالأعلام و الشعوب والبلدان و الوقائع الحربية و العلوم وغيرها .

و نحاول فيما يلى عرض بعض نماذج من هذه المعاجم : -

هـــوامـــش

١- راجع د. تمام حسان ، مناهج البحث فى اللغة ص٢٢٤ وما بعدها ، د. البدراوى زهران ،مصنفات الثروة اللفظية- كتاب الألفاظ- لعبد الرحمن بن عيسى الهمزانى ص٦٨ ،٦٩ ومصادر عربية وقراءات فى مراجع تراثية ص٤٣ وما بعدها

٢- راجع أحمد عبد الغفور عطار فى مقدمة الصحاح

٣- ابن سيدة ،المخصص ود. إميل يعقوب ،المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها ص٩

٤- د. البدراوى زهران ،مصادر عربية وقراءات فى مراجع تراثية ص٤٤

٥- راجع مدلولات كلمة معجم "وأعجم فى لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير وغيرها من المعاجم فى مادة عجم"

٦- راجع كتاب الخصائص لابن جنى ، ج٣ ص٧٦

٧- ابن جنى، سر صناعة الإعراب ج١ ص٤٠

٨- راجع المعاجم اللغوية العربية ص١٢ ، د. البدراوى زهران ، مصادر عربية وقراءات فى مراجع تراثية ص٤٥

٩- راجع أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح ص٣٨

١٠- راجع د. عبد السميع محمد أحمد ، المعاجم العربية دراسة تحليلة ص١٦ وما بعدها، د. البدراوى زهران ،مصادر عربية وقراءات فى مراجع تراثية ص٤٥

١١- راجع د. البدراوى زهران ، مصادر عربية وقراءات فى مراجع تراثية ص٤٥،٤٦

١٢- راجع السابق ص٤٦ وما بعدها

٢- من المعاجم العربية

أولاً : لسان العرب لابن منظور(٦٣٠-٧١١هـ)

يعد ابن منظور صاحب "لسان العرب" من أهم علماء عصره بل من أهم علماء العربية الذين عنوا بدراسة اللغة ووضع المعجم في اللغة العربية قاطبة، وهو محمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين أبي الحسن علي ابن أحمد بن أبي قاسم بن حقبة بن منظور ولد بمصر سنة ثلاثين وستمائة هجرية، سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف ميلادية (١٢٣٢م).(١)

والثابت أن ابن منظور نشأ في بيئة علمية، تحدث هو نفسه عنها في مقدمة كتابه " نثار الأزهار" الذى اختصر فيه كتاب التيفاشي (شرف الدين أحمد بن يوسف ت ٦٥١هـ) فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب .

وكان ابن منظور نهما في طلب العلم وشغوفا به، وقد أجمع المترجمون له علي أنه كان محدثا فقيها، عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلي مصر وبها توفي سنة ٧١١هـ/١٣١١م.

وقد ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة وغيره أن ابن منظور قد تتلمذ لابن المقيد ومرتضي بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وغيرهم .

ولما كان ابن منظور عالما جليلا أخذ العلم عن شيوخ ثقات وجب أن يكون له تلامذة يحصلون العلم علي يديه وتستمر بهم رحلة المعرفة، ومن هؤلاء التلاميذ: -

١- تقي الدين السبكى (ت ٧٥٦هـ)

٢- الذهبى المؤرخ

٣- قطب الدين ولد ابن منظور الذى أصبح كاتب الإنشاء بمصر

مصنفـــاتـــه:

برع ابن منظور في علوم متعددة منها : الفقه وعلوم اللغة والمعارف الكونية، لذا كثرت مصنفاته وتعددت اتجاهاتها بين فنون العلم المختلفة، ويذكر الصفدي في كتابه " أعيان العصر " أن ابن منظور ترك بخطه خمسمائة مجلد، لكن الملاحظة التي تجدر الإشارة إليها هي أن أغلب مصنفات ابن منظور كانت عبارة عن مختصرات لما سبقه من مؤلفات علماء اللغة والأدب السابقين فقد كان كما يقول ابن حجر صاحب

الدرر الكامنة مغرما باختصار كتب الأدب المطولة والتواريخ. وكان لا يمل من ذلك ونذكر عددا من هذه المختصرات :

١- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني . ويقع في نحو أربعة أجزاء كبار .

اختاره ابن منظور من أغاني أبي الفرج ورتبه علي حروف الهجاء بدلا من ترتيبه علي الأصوات كما فعل أبو الفرج الأصفهاني.

٢- مختصره لكتاب يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي (ت٤٢٩ هـ)

٣- مختصره لكتاب زهر الآداب وثمرة الألباب لأبي إسحاق إبراهيم القيرواني (ت ٤٥٣هـ)

٣- كشف الظنون واختصر فيه كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)

٤- مختصره لكتاب تاريخ بغداد للسمعاني (ت ٥٦٢هـ)

٥- مختصره لكتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)

٦- مختصره لكتاب مفردات ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ)

٨- لطائف الذخيرة وهو اختصار لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٣٠٣م

٩- مختصره لكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه

١٠- مختصره لكتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)

١١- مختصره لكتاب نشوار المحاضرة للتنوخي

لسان العرب:

ومهما يكن من أمر ومهما تعددت مصنفات ابن منظور فإن لسان العرب يبقي أهم مصنفاته وأضى معجم لغوي جمع ما ضمنته كتب السابقين ، فصار يغني عن كثير من معاجم اللغة العربية إذ جمع فأوعي وضم كل غريب وأضحي كتاب لغة وتفسير وحديث وفقه وأدب وتاريخ لا يستغني عنه العلم والاديب(٢).

طبعات لسان العرب:

للأهمية الكبرى والمكانة العليا التي يتربع فوقها معجم لسان العرب عنى المحققون منذ زمن عناية فائقة به ولذا كـان للكتاب عدة طبعات تفاوتت فيما بينها قوة وضعف ونذكرها فيما يأتي:

١ – طبعة بولاق: –

كانت هذه الطبعة التى طبعتها المطبعة الأميرية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م في عشرين جزءا مجموعة في عشرة مجلدات وهذه الطبعة هى المشهورة بطبعة بولاق ، و هذه الطبعة هى أولى طبعات هذا المعجم ، و لم يكن يعيب هذه الطبعة إلا حشد المواد حشداً و تزاحمها تزاحماً فى الصفحات مما يؤدى إلى إثقال على الباحث.

٢ – طبعة بيروت : –

و قد كانت الطبعة الثانية من هذا المعجم تلك التى صدرت فى بيروت عن دار صادر سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م فى خمسة وستين جزءاً و هى طبعة لا تمتاز من الطبعة السابقة إلا بإضافة بعض أدوات الترقيم . و بجعل المادة فقرات . كما قسمت هذه الطبعة الصفحة عمودين .

٣ – طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر. و هذه الطبعة – كما ذكر فى صفحتها الأولى – ((مصورة عن طبعة بولاق)) مما يؤكد فضل تلك الطبعة الأولى .

٤ – طبعة بيروت الثانية : و فى هذه المرة طبعته بيروت كذلك دار لسان العرب طبعة مصورة عن طبعة بيروت الأولى التى نشرتها دار صادر و لا تختلف طبعة بيروت الثانية عن طبعة بيروت الأولى إلا فى أن الثانية أصغر فى حجم حروفها عن الأولى ، و أن الصفحة ثلاثة أعمدة ، و أن المواد مرتبة على الحروف الهجائية ، و أن الطبعة فى ثلاثة مجلدات ، ذُيِّل كل مجلد منها بمصطلحات علمية و فنية .

٥ – طبعة دار المعارف : – و قد نشرته أخيراً دار المعارف بالقاهرة فى طبعة جيدة تتكون من ستة مجلدات أضيفت إليها بعد ذلك مجموعة من الفهارس ، و قد

عنى المحققون فى هذه الطبعة بضبط الكلمات ضبطاً كاملاً و حاولوا تنقية المعجم من كثير مما شابه من نقص .

و لابد أن نذكر أن هذه الطبعة فاقت غيرها من الطبعات للأسباب الآتية : -

١ - قابل المحققون النسخة التى اعتمدوها أصلاً على المصادر التى استقى منها ابن منظور مادة معجمه .

٢ - جلاء ما كان غامضاً و استكمال كثير من النقص الذى كان قد وقع فى الطبعات الأخرى .

٣ - إضافة هوامش تطلبها التحقيق و البحث ، و التنبيه على بعض أخطاء الطبعات السابقة .

٤ - تنظيم كل مادة تنظيماً طباعياً يراعى فيه اختلاف المعنى ، و ذلك بوضع علامات الترقيم المناسبة و بداية كل معنى جديد فى المادة بسطر جديد .

ن - الإستفادة باللسان نفسه فى التحقيق و الضبط فى حال اختلاف بعض الكلمات من موضع لأخر سواء فى المادة اللغوية و فى أبيات الشعر المستشهد به .

مصادر اللسان و أهدافه : -

كان ابن منظور أميناً فى معجمه من الناحية العلمية ، و دقيقاً واعياً بما يقول؛ إذ كان يعلم جيداً أنه لم يأخذ لغته و مادة معجمه عن طريق الإستماع إلى العرب الأقحاح . لذا كان حريصاً فى تقديمه اللسان على ذكر المصادر المعجمية التى اعتمد عليها و نقل منها مادته اللغوية ، و هذه المصادر التى ذكرها ابن منظور فى مقدمته هى : -

١- " تهذيب اللغة " للأزهري (ت٣٧٠ هـ).

٢- " المحكم " لابن سيده.

٢- " الصحاح " للجوهرى (ت ٤٠٠هـ).

٤- " الحاشية علي الصحاح " لابن برى.

٥- " النهاية " لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

وقد شهد بن منظور لهذه المعاجم التى اعتمد عليها علي الرغم من أنه كان له عليها بعض المآخذ فيقول :

" ولم أجد في كتب اللغة أجمل من " تهذيب اللغة " لأبي منصور محمد ابن أحمد الأزهري ، ولا أكمل من "المحكم" لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلس، رحمهما الله؛ وهما من أمهات كتب اللغة علي التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق ٠٠٠ ورأيت أبا نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى قد أحسن ترتيب مختصره، فخف علي الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه ٠٠٠ فاتيح له الشيخ أبو محمد بن بدى ، فتتبع ما فيه وآملى عليه أماليه، مخرجا لسقطاته مؤرخا لغلطاته ٠٠٠ فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجذرى قد جاء في ذلك بالنهاية، وجاوز في الجودة حد الغاية: غير أنه لم يضع الكلمات في محلها، ولا راعى زائد حروفها من أصلها ٠٠٠ فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق، وقرنت بين ما غرب منها وما شرق فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع ٠٠٠(٣)

وقد كان ابن منظور يهدف من وراء ذلك كله إلي أمرين رئيسيين وهما الاستقصاء والترتيب، إذ نراه ينص في مقدمته علي أن المعجم التي سبقت معجمه لم تكن تعني إلا بأحدهما، أما بالنسبة للاستقصاء فقد ظهر بجلاء في عناية صاحبي التهذيب والمحكم، وأما العناية بترتيب المفردات فقد بدت عند الجوهري في الصحاح، وقد أفاد ابن منظور فقال الحسينين.

منهج ابن منظور في اللسان:

يبدأ ابن منظور مصنفه بخطبه ذكر فيها شرف اللغة وارتباطها بالقرآن، ثم نقد مصادره التي تنقل عنها واعتمد عليها ذاكرا ما لم يرضه من مناهج هؤلاء السابقين ثم بين لنا منهجه الذي سيسير عليه في معجمه.

وبعد انتهائه من خطبته شرع في كتابة بابين قبل المعجم وهما:

١ – تفسير الحروف المقطعة في مطالع سور القرآن الكريم، وهى قضية ثار حولها جدل كبير في تاريخ الفكر والتفسير الإسلاميين .

٢ – وثانيهما درس فيه ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها.

ولم يكن ابن منظور مبتكرا هذين البابين، إذ أقر هو نفسه أنه أخذ الباب الأول من تهذيب الأزهرى، وكان قد وضعه آخر معجمه ولم يضف إليه ابن منظور إلا ثلاثة عشر سطرا ختم بها الباب. وعالج في هذا الباب معاني هذه الحروف ودلالاتها وإعرابها وتذكيرها وتأنيثها وجمعها، وأورد في كل مسألة بعض خلافات بسيطة تتمثل في حذفه بعض أسانيد الأزهرى .

وأخذ الثاني من باب أبي الحسن على بن أحمد بن الحرابي المتوفى ٦٣٧هـ، وعالج فيه ألقاب حروف الهجاء عند ابن كيسان والخليل وترتيبهما المخرجى عند الخليل وسيبويه ، والعلاقات بين الحروف المتقاربة من تناسق وتنافر.

وقد أخذ ابن منظور طريقة ترتيب مادته عن صحاح الجوهرى إذ يعتد بالحرف الأخير، ويبدو أن غلبة السجع علي أدب العصر شعرا ونثرا كان له أثر في التزام المعجميين هذا المنهج، ولكن التزام الحرف الأخير أوقع ابن منظور في أخطاء وأورثه عيوبا منها :

١– أن ترتيب المادة بحسب الحرف الأخير ثم الأول ثم الأوسط تشتت.

٢– المشتغين بالمعجم، وكان الأيسر له وللمستفيد أن يبنى مادته معتمدا علي الحرف الأول، وهذا ما صنعه المحققون في طبعة دار المعارف إذ رتبوا الأبواب علي أساس الحرف الأول .

٣– ويبدو عيب هذه الطريقة التي يكون بابها الحرف الأخير أن هذا الحرف إذا كان حرف علة فكثيرا ما يقع التباس ولعل ذلك كان السبب الرئيسى في أنه جمع المعتل بالواو والمعتل بالياء في باب واحد.

٤– ومن العيوب لهذه الطريقة أن الحرف الأخير لا يكون أصليا، كما في مادة (أبو) من (أب).

وعلي الرغم من هذا كله فإن للسان مزايا جليلة نذكر منها :

١- لما كان ابن منظور قد اعتمد في تكوين معجمه علي خمسة مصادر ضخمة كان لابد أن تكثر مادته كثرة طيبة، وصلت هذه المادة اللغوية إلي ثمانين ألف مادة .

٢- عني ابن منظور في التأكيد علي صحة مادته بذكر الشواهد الشعرية.

٣- يذكر لابن منظور فضل الاستقصاء وحسن التنظيم لمادة معجمه.

٤- يذكر له أيضا أنه يبدأ عرض المادة يبدأ بذكر المصدر ثم يأتي بعد ذلك بكل ما يمكن أن يشتق منه .

نموذج من لسان العرب :

يقول ابن منظور في باب تفسير الحروف المقطعة ج١ :

روي ابن عباس رضى الله عنهما في الحروف المقطعة مثل آلم، المص، المر، وغيرها ثلاثة أقوال:

أحدها أن قول الله عز وجل : " ألم " أقسم بهذه الحروف إن هذا الكتاب الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب الذى من عند الله عز وجل لا شك فيه قال هذا في قوله تعالي:" الم ذلك الكتاب لا ريب فيه " والقول الثاني عنه: أن " الر، حم، ن " اسم الرحمن مقطع في اللفظ ، موصول في المعني .

والقول الثالث عنه أنه قال : " الم ذلك الكتاب"

قال: " ألم" معناه أن الله أعلم وأروى.

وروى عكرمة في قوله :" الم ذلك الكتاب"

قال: "الم" قسم.

وروى عن السدي قال : بلغني عن ابن عباس أنه قال: "الم" اسم من أسماء الله وهو الاسم الأعظم وروى عكرمة عن ابن عباس:الر، والم،وحم حروف معرفة أى بينت معرفة . قال أبي فحدثت به الأعمش فقال: عندك مثل هذا ولا تحدثنا به؟

وروي عن قتادة قال:"الم" اسم من أسماء القرآن وكذلك "حم"و"يس" وجميع ما في القرآن من حروف الهجاء من أوائل السور وسئل عامر عن فواتح القرآن، نحو"حم" ونحو"ص" و"الم"و"الر" ،قال: هي اسم من أسماء الله مقطعة بالهجاء، إذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله ثم قال عامر "الرحمن" قال: هذه فاتحة ثلاث سور إذا جمعتهن كانت اسما من اسماء الله تعالي وروى أبو بكر بن أبى مريم عن ضمرة

بن حبيب وحكيم بن عمير وراشد بن سعد قالوا: "المر" و"المص" و"الم" وأشباه ذلك وهي ثلاثة عشر حرفا إن فيها اسم الله الأعظم.

وروى عن أبي العالية في قوله:" الم" قال: هذه الحروف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا ليس فيها حرفا إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله وليس فيها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجالهم -قال: وقال عيسى بن عمر: أعجب انهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه كيف يكفرون به فالألف مفتاح اسمه: الله ولام مفتاح اسمه: لطيف وميم مفتاح اسمه: مجيد. فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله والألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون.

وروى عن عبد الرحمن السلمي قال:"الم" آية و"حم" آية.

وروى عن أبي عبيدة أنه قال: هذه الحروف المقطعة حروف الهجاء وهي افتتاح كلام ونحو ذلك قال الأخفش: ودليل ذلك أن الكتاب الذى ذكر قبل السورة قد تم.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في "كهيعص": هو كاف،هاد،يمين،عزيز،صادق؛ جعل اسم اليمين مشتقا من اليمن وسنوسع القول في ذلك في ترجمة يمن إن شاء الله تعالي. وزعم قطرب أن "الر" و"المص" و"الم" و"كهيعص"و"ص"و"ق"و"يس"و"ن"، حروف المعجم لتدل أن هذا القرآن مؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي: حروف أ ب ت ث، فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه – بحروفهم التي يعقلونها -لا ريب فيه.

قال: ولقطرب وجه آخر في "الم" زعم أنه يجوز أن يكون لما لغا القوم في القرآن فلم يتفهموه حين قالوا:" لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه" أنزل عليهم ذكر هذه الحروف لأنهم لم يعتادوا الخطاب بتقطيع الحروف فسكتوا لما سمعوا الحروف طمعا في الظفر بما يحبون ليفهموا بعد الحروف القرآن وما فيه فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم وتعلم.

وقال أبو اسحاق الزجاج: المختار من هذه الأقاويل

ما روى عن ابن عباس وهو: أن معنى "الم" أنا الله

أعلم وأن كل حرف منها له تفسير.

قال: والدليل علي ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل بها علي الكلمة التي هو منها وأنشد: قلت لها قفي فقالت ق فنطق بقاف فقط، تريد أقف وأنشد أيضا :

ناديتهـــم أن ألجمــوا ألا تــا قالـوا جميعـا كلهـم : ألا فـا

قال تفسيره: نادوهم أن ألجموا ألا تركبون؟ قالوا جميعا: الا فاركبوا فإنما نطق بتاء وفاء كما نطق الأول بقاف.

وقال : وهذا الذى اختاروه في معنى هذه الحروف والله أعلم بحقيقتها .

وروى عن الشعبى أنه قال: لله عز وجل في كل كتاب سر وسره في القرآن حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور.

وأجمع النحويون أن حروف التهجى وهى الألف والباء والتاء والثاء وسائر ما في القرآن منها أنها مبنية علي الوقف وأنها لا تعرب. ومعني الوقف أنك تقدر أن تسكت علي كل حرف منها فالنطق بها:" الم" .

والدليل علي أن حروف الهجاء مبنية علي السكت كما بني العدد علي السكت أنك تقول فيها بالوقوف مع الجمع بين ساكنين كما تقول إذا عددت: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة فتقطع ألف اثنين وألف اثنين ألف وصل وتذكر الهاء في ثلاثة وأربعة ولولا أنك تقدر السكوت لقلت ثلاثة كما تقول ثلاثة يا هذا. وحقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر وشرح هذه الحروف وتفسيرها: أن هذه الحروف ليست نجرى مجرى الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب إنما هى تقطيع الاسم المؤلف الذى لا يجب الإعراب إلا مع كماله. فقولك"جعفر" لا يجب أن تعرب منه الجيم ولا العين ولا الفاء ولا الراء دون تكميل الاسم وإنما هى حكايات وضعت علي هذه الحروف فإن أجريتها مجري هذه الأسماء وحدثت عنها قلت : هذه كاف حسنه وهذا كاف

حسن وكذلك سائر حروف المعجم فمن قال: هذه كاف أنث بمعنى الكلمة ومن ذكر فلمعنى الحرف والإعراب وقع فيها لأنك تخرجها من باب الحكاية .

قال الشاعر: كافا وميمين وسينا طاسما

وقال آخر: كما بينت كاف تلوح وميمها

فذكر طاسما لأنه جعله صفة للسين وجعل السين في معني الحرف وقال :" كاف تلوح" فأنث الكاف لأنه ذهب بها إلي الكلمة وإذا عطفت هذه الحروف بعضها علي بعض أعربتها فقلت : ألف وباء وتاء وثاء غلي آخرها والله أعلم.

وقال أبو حاتم : قالت العامة في جمع "حم" و"طس" طواسين وحواميم. قال: والصواب ذوات طس وذوات حم وذوات الم وقوله تعالي "يس" كقوله عز وجل "الم" و"حم" وأوائل السور .

وقال عكرمة: معناه يا إنسان لأنه قال:"إنك لمن المرسلين" .

وقال ابن سيده: الألف والأليف حرف هجاء. وقال الأخفش: هي من حروف المعجم، مؤنثه، وكذلك سائر الحروف وقال : هذا كلام العرب وإذا ذكرت جاز. وقال سيبوية : حروف المعجم كلها تذكر وتؤنث كما أن الإنسان يذكر ويؤنث. قال : وقوله عز وجل "الم" و "المص" و" المر" .قال الزجاج: الذى اخترنا في تفسيرها قول ابن عباس إن "الم" أنا الله أعلم و" المص" أنا الله أعلم وأفصل و"المر" أنا الله أعلم وأرى.

قال بعض النحويين : موضع هذه الحروف رفع بما بعدها قال:" المص كتاب" فكتاب مرتفع بالمص وكأن معناه "المص" حروف كتاب أنزل إليك قال: وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبدا ذكر الكتاب فقوله:"الم الله لا اله إلا هو الحي القيوم" يدل علي أن "الم" مرافع لها علي قوله وكذلك "يس والقرآن الحكيم" وكذلك "حم عسق، كذلك يوحي إليك" وقوله "حم والكتاب المبين إنا أنزلناه" فهذه الأشياء تدل علي أن الأمر علي غير ما ذكر . قال ولو كان كذلك أيضا لما كان " الم" و "حم" مكررين .

قال: وقد أجمع النحويون علي أن قوله عز وجل : " كتاب أنزل إليك " مرفوع بغير هذه الحروف فالمعني هذا كتاب أنزل إليكز وذكر الشيخ أبو الحسن علي الحرالي شيئا في خواص الحروف المنزلة أوائل السور وسنذكره في الباب الذى يلي هذا في ألقاب الحروف.

هوامش

١-راجع ترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج١ ص٢٤٨، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٦ ص٢٦،٢٧ . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج١ ص٢١٩،٣٠٧، كشف الظنون حاجي خليفة دار الفكر العربي د.ت ١٢٩، ١٣٠، ٢٩٤، إيضاح المكنون للبغدادي- دار الفكر العربي د.ت ١/ ٣٤١، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة- مدرسة الرسالة الاول ١٩٩٣- ج٣ ص٧٣١

٢-راجع الحديث عن لسان العرب وصاحبه في ابن حجر، الدرر الكامنة ودائرة المعارف الإسلامية، الصفدي: أعيان العصر، د. عبد الله درويش: المعاجم العربية، د. حسن نصار :المعجم العربي

٣-ابن منظور، لسان العرب ص١١،١٢

ثـــانيـــاً

حياة الحيوان الكبرى للدميرى

يعد كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى نموذجاً جيداً للمعاجم المتخصصة. إذ اختار الحيوان ليصنف فيه معجمه ، و نحاول فيما يأتى دراسة هذا الكتاب بادئين بالترجمة للمصنف و مشيرين إلى ظروف عصره ثم دارسين الكتاب نفسه و محللين إياه .

عصر المصنف : -

أولاً : عاش المؤلف كمال الدين الدميرى فى عصرين متجاورين ، هما عصر دولة المماليك البحرية و المماليك البرجية ، وقد عاصر من سلاطين الفترتين اثنى عشر سلطاناً ابتداء من عهد الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون الذى تقلد السلطنة سنة ٧٤٣ هـ حتى ٧٤٥ هـ ، وانتهاء بالملك الناصر فرج بن برقوق المتوفى سنة ٨١٤ هـ .

الحال السياسة:

وإذا كانت الفترة الأولى قد تميزت بنوع من الإستقرار السياسي خصوصا في بدايتها أيام بيبرس وقلاوون وابنه حسن، فإن هذا الأمر لم يكن متاحا دائما في الدولة الثانية ولو أن العصر شهد سلاطين أقوياء مثل برقوق وبرسباى وغيرهما ولكن الاضطرابات الداخلية لم تتوقف طيلة العصر بسبب الشهرة إلي السلطة والتنافس عليها والحسد وكثيرا ما كان يثور حاكم المنطقة ضد سلطانه وكذلك القواد وكبار الأمراء وكان الاستيلاء علي السلطة في أى وقت أمر متاح للقادة الكبار في الجيش لأن السلطة شبه عسكرية،مركزية، والقواد العسكريون يتمتعون بنفوذ واسع. والخليفة لا يملك إلا الاسم والتوقيع فحسب. وكذلك عامة الناس كانوا أبعد ما يكونون عن المتغيرات السياسية وهم الذين يتحملون أوزار الانقلابات العسكرية والثورات دائما .

الحروب والأوضاع العسكرية :

خاض المماليك في الدولة البحرية ومنذ قيامها حروبا عدة مشرفة كان أولها معركة عين جالوت سنة ٦٦٢هـ التى أوقفت الزحف المغولى ووضعت له حدا بل تراجع المغول بعد تلك المعركة منهزمين نحو الشرق وتوالت المواجهات بعد ذلك

أيام الظاهر بيبرس الذى أمضى سبعة عشر عاما وهى مدة سلطنته مجاهدا مقاتلا ضد الصليبيين والمغول واستطاع أن يحرر الكثير من المواقع التى احتلها الفرنجة علي سواحل الشام والواقع ان هذه الفترة من حكم المماليك قد أنقذت ما تبقى من بلاد الإسلام وتصدت بشجاعة للغزوين المغولى والصليبى وقد أعاد السلطان الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلي سابق مجدها وجعل القاهرة مقر الخلافة بعد سنة ٦٥٦هـ حيث سقطت بغداد بأيدى المغول واستمر الوضع العسكرى علي هذا المنوال في الدولة الثانية حيث كان الفرنجة يحاولون النزول علي سواحل الشام أو مصر بين وقت وآخر فكانوا يتصدون لهم وببسالة حتى إن برسباى تعدى ذلك غلي أن غزى قبرص وأسر ملكها وغنم الغنائم العظيمة .

أما الحجاز أيام الدولة الثانية فكان يخضع للسلطة المركزية في القاهرة وكان السلاطين يتدخلون عند الضرورة لفض المنازعات على الحكم في مكة وما يليها. كما امتدت سلطة الدولة المملوكية إلى اليمن والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية .

الحالة الإجتماعية : -

إن التنافس على السلطة والمعارك الجانبية التى كانت تشب هنا وهنالك فى مصر والشام بالإضافة إلى المواجهات العنيفة ضد المغول ومن بعدهم الفرنجة الصليبيين كانت تستنزف الطاقات المالية والاقتصادية في مصر مما دفع الكثير من الملوك لفرض ضرائب جديدة كلما دعت الحاجة مما أثقل كاهل الناس خصوصا في مصر ولم يقتصر الأمر على الإنفاق الحربى، لكن اشتركت عوامل أخرى في تعقيد الأحوال المعيشية من ذلك: الطاعون والأوبئة الأخرى التى كانت تتفشى من وقت لآخر فيذهب آلاف الناس ضحية لذلك وبالتالي ينعكس الأمر سلبا على البلاد لفقدان الايدى العاملة في الزراعة وفى الحرف الاخرى واكثر ما يلاحظ ذلك في الدولة الثانية حيث تفاقمت الضرائب وازدادت المصادرات وتغلب الجند على مقدرات البلاد والعباد وكثرت ثورات الأعراب خصوصا فى صعيد مصر ويضاف على ذلك ما

كان يسببه انخفاض النيل من أزمة في ري المزروعات فتقل المواسم وترتفع الاسعار ويكثر السلب والنهب والمصادرات .

أما طبقات الشعب.فكانت الطبقة الحاكمة، طبقة المماليك السلاطين والأمراء والجنود ومعظمهم كانوا ينحدرون من أصول غير عربية وبعضهم لم يكن يتكلم العربية وعمة الشعب وتنقسم إلى تجار متوسطي الحال والسواد الأعظم من الناس من المزارعين والفقراء.

الحال الثقافية : -

إن الأوضاع السياسية غير المستقرة والأحوال الاقتصادية المتدهورة والحرب التي لا تكاد تتوقف حتى تشتعل في غير مكان. كل ذلك كان عائقا أمام أي نهضة علمية شاملة، ولم يكن من السهل تخطي ذلك الواقع خصوصا وأن بغداد عاصمة العلم والحضارة في المنطقة كلها سقطت وضاع بسقوطها تراث أجيال في العلوم المختلفة وتشتت أهل العلم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من هام على وجهه ينشد الأمن والنجاة وكان لحسن حظ بعضهم أن يمموا شطر مصر فأفادوا منها وأعطوها من غزير علومهم وبذلك تحولت الحركة العلمية إلى القاهرة فتوافد أهل العلم من جميع الأقطار الإسلامية والعربية إلى عاصمة الخلافة نظرا لما تحتله هذه العاصمة من مكانة في قلوب أهل الإسلام باعتبارها ترفع راية الجهاد ضد قوى الطغيان والغزو فضلا عن الرعاية التي لقيها أهل العلم في العهود المختلفة وفي الدولتين.

ورعاية المماليك للعلم والعلماء تتمثل بإقامتهم للمدارس وقد أوقفوا لها الأوقاف واجروا الرواتب على المعلمين والمتعلمين واهتموا بالمساجد فعينوا لها الخطباء والأئمة حتى غدت هي أيضا مراكز علمية مشعة فمن المساجد التي لعبت دورا بارزا في النهضة الجامع الأزهر وقد ساهم في إحياء العلوم المختلفة، علوم اللغة والطب والرياضيات والموسيقى والحديث النبوي وعلوم القرآن وغير ذلك من علوم العصر ومن المساجد التي لعبت الدور نفسه جامع العطارين بالاسكندرية وجامع دمياط وجامع أسيوط وقوص وقفط كما رعى السلاطين المدارس الدينية التي كانت

تدرس الفقه على المذاهب الأربعة وجامع عمرو بن العاص الذى كان يضم أربعين حلقة.

ومن الجدير بالذكر أن ديوان الإنشاء كان من المؤسسات التى ساهمت فى الإبقاء على اللغة العربية كلغة للتأليف والكتابة باعتبار أن هذا الديوان هو الأكثر نشاطا فى حقل الكتابة فهو السجل الرسمى للدولة وفيه تدون كافة الوثائق الصادرة والواردة وكان يقوم بذلك كتاب أدباء بلغاء عملوا على إغناء العربية بأساليبهم الرفيعة ولو طغى عليها بعض التصنيع فى بعض الأحيان ولا يفوتنا أن ننوه بما كان للقضاء من دور مميز هو الآخر حمل عبئا غير قليل للتمكين للعربية ولأساليب التعبير من خلال ما يدونه القضاة من عهود ومواثيق وأحكام ونظرا لما تقدم فباستطاعتنا أن نرصد مئات الأعلام ، علماء وأدباء ، فمن المؤرخين أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ وشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ وتقى الدين المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ وابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠هـ وفي اللغة والأدب: جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ والذى تعد مؤلفاته بالعشرات فى كل علم وفن: فى التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

ومن الجدير بالذكر أن أهل الذكر كانوا يقربون أهل المعرفة والأدب ولكنهم تشددوا مع المنحرفين عن الدين ومع أهل الفلسفة ومن أهل الفلسفة التفتازانى سعد الدين وعبد الرحمن الإيجي ونصير الدين الطوسى وغيرهم.

وقد تنافس أهل العلم فى اقتناء الكتب وجمعها حتى ليقال إن نجم الدين بن حجى ترك بعد وفاته ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وذكر المقريزى في المكتبة وحدها أربع عشرة مكتبة عامة. ولم تكن دمشق تقل شأنا فى هذا المجال وعرف فيها من المدارس العمرية والناصرية وخزانة للكتب.

وفى حلب عرفت نهضة علمية تمثلت بعدد المدارس التى كانت فيها حتى اجتياح تيمورلنك لها سنة ٨٠٣هـ إذ بلغ عدد مدارسها ثلاثمائة مدرسة دمرها الغزو

المغولى فى ذلك الوقت ولكن نشأت مدارس أخرى منها : الشعبانية والعثمانية والمنصورية والخسروية وكانت لها أوقاف جارية.

وعلى وجه العموم فإن العصر المملوكى بفترتيه عرف نشاطا ثقافيا ملحوظا فى سائر العلوم والفنون للأسباب التى أشرنا إليها حتى عدت المؤلفات بعشرات الآلاف فى مدة زمنية لم تتجاوز ثلاثمائة عام تعاقب خلالها على الحكم سلاطين أشداء وجهوا همهم على الحرب والجهاد ولكنهم لم يغفلوا أبدا عن تشجيع العلوم وتقريب العلماء فلا يخلو عصر أحد منهم من بناء جامع أو مدرسة أو مكتبة كما فعل قلاوون وابنه الناصر والملك الظاهر جقمق وبيبرس وقايتباى وقنصوه الغورى وبعضهم كان مثقفا كالمؤيد شيخ الذى كان "يركز الفن وينظم الشعر وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الآن".

حياة المصنف (١):

كمال الدين أبو البقاء: محمد بن عيسى بن على الدميرى القاهرى الفقيه الشافعى.

ولد بقرية (دميرة) بمصر سنة ٧٤٢هـ .نشأ بالقاهرة وتكسب بالخياطة ثم أقبل على التعلم فتلقى تعليمه بالأزهر .

أساتذته : -

١- بهاء الدين أحمد السبكى الفقيه وقد لازمه كثيرا.

٢- بهاء الدين بن عقيل النحوى.

٣- كمال الدين أبى الفضل النويرى الفقيه.

٤- جمال الدين الإسنانى وهو شيخه فى الفقه.

٥- برهان الدين القيراطى.

٦- مظفر الدين العطار المصرى الذى سمع منه جامع الترمذى.

٧- على بن أحمد العرضى الدمشقى.

٨- عبد الرحمن بن على الثعلبى.

٩- محمد بن على الخزاوى الذى سمع عنه كتاب "الخيل" للحافظ شرف الدين الدمياطى عنه.

١٠- الجمال محمد بن أحمد بن عبد المعطى الذى سمع منه فى مكة صحيح ابن حبان كمال الدين محمد بن عمر بن حبيب الحلبى الذى سمع منه بمكة سنن ابن ماجة ومسند الطيالسى ومسند الشافعى ومعجم ابن قانع وأسباب النزول للواحدى والمقامات الحريرية وغير ذلك.

فهو مفسر ، محدث، فقيه أصولى، أديب، نحوى ارتحل إلي مكة وجاور مكة مدة سنتين وأخذ الحديث بمكة عن الجمال بن عبد المعطى وقد سمع منه سنن الترمذى وأخذ مسند أحمد عن الكمال محمد بن عمر بن حبيب.

برع فى التفسير والحديث والفقه وأصول العربية والأدب وأذن له بالإفتاء والتدريس وتصدى للإقراء فانتفع به جماعته.

تولى التدريس بالجامع الأزهر وكانت له حلقة تعقد يوم السبت وكانت لها حلقة يوم الجمعة غالب بالجامع الظاهر بالحسينية وحلقة بالقبة البيبرسية بالأزهر الشريف . توفى سنة ٨٠٨هـ.

من مصنفاته : -

١- حياة الحيوان الكبرى.

٢- النجم الوهاج في شرح مناهج الطالبين فى فروع الفقه الشافعى.

٣- شرح لابن العجم الصفدى.

٤- شرح سنن ابن ماجة فى خمس مجلدات أسماه الديباجة.

٥- شرح المعلقات السبع.

٦- أرجوزة منظومة طويلة فى الفقه.

تلامذته : -

١- المقريزى صاحب كتاب الخطط والآثار وقد صحبه سنوات.

٢- الصلاح الأقفهى فى مكة المكرمة.

ابنته أم حبيبة توفيت بمكة سنة ٨٠٩هـ .

التقى الفاسي في مصر وهو أهم تلامذته الذين أخذوا عنه الحديث .

منهج المصنف :-

إن الدميرى . قد رتب كتابه على حروف المعجم ، وضمنه من أسماء الحيوانات ما تنامى إلى سمعه ، ومن مصادر كثيرة ومختلفة تتراوح ما بين كتب يونانية وعربية قديمة أو ما كان قريبا لعهد المؤلف ، الذى اطلع على تلك الكتب . المتخصصة فى عالم الطب والحيوان ، و وعى ما فيها ، ونقحها ، وطرح جانباً ما لم يقتنع به ، وأقر ما رأى عليه إجماعاً لدى العلماء ، ومع حذره الشديد ، فإنه قد أبقى على معلومات كثيرة ، غريبة وعجيبة ، ولكنه نقلها على ذمة أصحابها و ناقليها ، فأيد كل مروياته بإسنادها إلى رواتها ، بالتسلسل المعروف وصولاً إلى المنشإ الأساس ، و لم يفته أن يرد ، حيث يقتضى الأمر ، على الأغاليط .

أما طريقته فى عرض المعلومات ، فإنه يبدأ بوصف الحيوان ، بعد أن يضبط اسمه ضبطاً تاماً بالشكل ، و يعرف بالأصل اللغوى له ، ويقدم بعد ذلك عرضاً لبعض الأخبار والمرويات التى تدل على طبائع ذلك الحيوان ، وفى الإطار يستحضر طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة ، والآيات القرآنية الكريمة التى لها علاقة بالموضوع ، فضلاً عما جاء حوله من أشعار قديمة ، وأمثال و حِكم . ثم يورد ما قاله الفقهاء فى شأن الحيوان المذكور من حيث الحكم الشرعى فى أكله أو عدمه . يؤيد ذلك بالأقوال المختلفة ، و بأحاديث نبوية و آيات كريمة ، وينتهى إلى ذكر الخواص الطبية من المنافع و المضار من لحم ذلك الحيوان أوغيره .

نموذج من حياة الحيوان الكبرى

باب الهمزة

الأسد : من السابع معروف ، وجمعه اسود و أسد و آسد و آساد و الانثى أسدة وفى حديث أم زرع " زوجى إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ". وله أسماء كثيرة ، قال ابن خالويه : للأسد خمسمائة اسم وصفة . وزاد عليه على بن قاسم بن جعفر اللغوى مائة

وثلاثين اسماً فمن أشهرها: (أسامة والبيهس والنآج والجخدب والحارث وحيدرة والدواس والرئبال وزفر والسبع والصعب والضرغام والضيغم والطيثار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والمتأنس والمتهيب والهرماس و الورد). و كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كناه أبو الأبطال و أبو حفص و أبو الأخياف و أبو الزعفران و أبو شبل و أبو العباس و أبو الحارث .

وإنما ابتدئنا به لأنه أشرف الحويان المتوحش : إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب ، لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته وشراسة خلقه ، ولذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام والجراءة والصولة . ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه : أسد الله و يقال : من نبل الأسد أنه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه ، و كذلك لأبى قتادة ، فارس النبى (ص) ففى صحيح مسلم ، فى باب إعطاء القاتل سلب المقتول . فقال أبو بكر رضى الله عنه ((كلا والله لا يعطيه أضيبعا من قريش ، ويدع أسداً من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله)). وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة .

و هو أنواع كثيرة قال أرسطو : رأيت نوعاً منها يشبه وجه الإنسان ، وجسده شديد الحمرة ، وذنبه شبيه بذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر ، وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ، يقولون : إن الأنثى لا تضع إلا جرواً واحداً تضعه لحمة ليس فيه حس و لا حركة ، فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ، ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه ، المرة بعد المرة ، حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه ، و تشكل صورته ، ثم تأتى أمه فترضعه ، ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه ، فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب. قالوا: وللأسد من الصبر علي الجوع وقلة الحاجة إلي الماء ما ليس لغيره من السباع ومن شرف نفسه: أنه لا ياكل من فريسة غيره فإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها وإذا جاع ساءت أخلاقه وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب : وقد أشار غلي ذلك الشاعر بقوله:

وأتـرك حبـها مـن غـير بغـض وذاك لكـثرة الشـركاء فيـه
إذا وقـع الذبـاب علـي طعـام رفعـت يـدى ونفسـي تشـتهيه
وتجتنـب الأسـود ورود مـاء إذا كـان الكـلاب ولغـن فيه

وقد ألغز بعضهم في القلم فقال:

وأرقش مرهوف الشباة مهفهف يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفـاق شـرقا ومغربا وتعنـو له مـلاكها و تطيـع

حمى الملك مفطوما كما كان تحتمى به الأسد في الآجام وهو رضيع وإذا أكل نهس من غير مضغ وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر ويوصف بالشجاعة والجبن فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ونقر الطست ومن السنور ويتحير عند رؤية النار وهو شديد البطش ولا يألف شيئا من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه ومتى وضع جلده على شئ من جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد، ولا يزال محموما، يعمر كثيرا وعلامة كبره سقوط أسنانه: روى ابن سبع السبتي في شفاء الصدور عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه خرج في بعض أسفاره فبينما هو يسير إذا هو بقوم وقوف فقال: ما لهؤلاء القوم؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم فنزل عن دابته ثم مشى إليه ثم أخذ بأذنه ونحاه عن الطريق ثم قال : ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنما سلطت على ابن آدم لمخافته غير الله، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعال لم تسلط عليه و لو لم يرج إلا الله تبارك وتعالى لما وكله إلى غيره".

وفي سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن بن آدم وليس له عنده سواه، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى اله عليه وسلم قال: "ينزل عيسى بن مريم علية الصلاة والسلام الى الأرض ورأسه يقطر ولم يصبه بلل. وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال وتقع الأمنة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ولا يضر بعضهم بعضا ثم يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه".

وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة ثور بن يزيد قال: بلغني أن الاسد لا ياكل إلا من أتى محرما.وقصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأسد مشهورة، رواه البزار والطبراني وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم.

وذكر البخاري في تاريخه أنه بقي إلى زمن الحجاج،روى محمد بن المنكدر عنه أنه قال: "ركبت سفينه في البحر فانكسرت فركبت لوحا فأخرجني إلى أجمة فيها أسد فأقبل إلي فقلت: أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا تائه فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق ثم همهم فظننت أنه السلام" وفي دلائل النبوة للبيهقي، عن أبي المنكدر أيضا أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،أخطأ الجيش بأرض الروم وأسر في أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال له: "يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جنبه فلم يزال كذلك حتى بلغ الجيش فرجع الأسد".

واختلف في اسم سفينة رضي الله عنه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طعمان وقيل عمير .

روى مسلم له حديثا واحدا والترمذي والنسائي وابن ماجه .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي لهب فقال:" اللهم سلط عليه كلبا من كلابك "فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام رواه الحاكم من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه وقال صحيح الإسناد.

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار قال: تجهز أبو لهب وابنه عتبه نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب: ما أنزلكما ههنا؟ هنا سباع فقال أبو لهب: أنتم عرفتم سني وحقي قلنا:أجل. قال: إن محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه وناموا حوله ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع راسه فقال : سيفي يا كلب ولم يقدر على غير ذلك وفي رواية فوثب الأسد فضربه بيده ضربة

واحدة فخدشه فقال: قتلني فمات لساعته وطلبنا الأسد فلم نجده وإنما سماه النبي صلى الله عليه وسلم كلبا لأنه يشبهه عند رفع رجله عند البول.

فائدة: روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فر من المجزوم فرارك من الأسد " وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجزوم وقال:" بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأدخلها معه الصحفة" قال الشافعي رحمه الله في عيوب الزوجين : إن الجذام والبرص يعدى وقال: إن ولد المجذوم قلما يسلم منه. قلت ومعنى قول الشافعي رضى الله عنه انه يعدى. أى بتأثير الله تعالى لا بنفسه لأن الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلى وقد يوافق قدرا وقضاء فيظن أنه عدوى. وقد قال صلى الله عليه وسلم : "لا عدوى ولا طيرة " كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى . وأما قوله في الولد :" قلما يسلم منه" فقد قال الصيدلاني : معناه أن الولد قد ينزعه عرق من الأب فيصير أجذم. وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: إن امرأتي قد ولدت غلاما أسود" لعل عرقا نزعه " وبهذا الطريق يحصل الجمع بين هذه الأحاديث.

وجاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم :" لا يورد ذو عاهة على مصح" وإنه صلى الله عليه وسلم أتاه مجذوم ليبايعه فلم يمد يده إليه بل قال:" امسك يدك فقد بايعتك" وفي مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تطيلوا النظر إلى المجذوم وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قدر رمح" .

وقد ذكر الشيخ صلاح الدين العراقي في القواعد أن الأم إذا كان بها جذام أو برص سقط حقها من الحضانة لأنه يخشى على الولد من لبنها ومخالطتها واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم :" لا يورد ذو عاهة على مصح " والذى ذكره ظاهر وهو المختار ويؤيد ما أفتى به ابن تيمية صاحب المحرر، من الحنابلة رحمه الله وصرح به أئمة المالكية، أن المبتلى لو أراد مساكنة الأصحاء في رباط أو غيره منع إلا بإذنهم ولو كان ساكنا وابتلى أزعج وأخرج وأما أصحابنا فصرحوا بأن الأمة إذا كان مجذوما وجب عليها تمكينه من الإستمتاع وهذا نع إشكاله قد أورد في الروضة في الزوجة المختارة للمقام مع الزوج المجذوم وقد يفرق بينهما بقوة الملك والله اعلم.

وقد جاء في الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لإمرأة: أكلك الأسد فأكلها" وروى الطبراني وأبو منصور الديلمي والحافظ المنذرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" أتدرون ما يقول الأسد في زنيره؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: " إنه يقول :اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف".

فائدة أخرى : روى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم أنه قال:" إذا كنت بواد تخاف فيه الأسد فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد"أشار بذلك إلى ما رواه البيهقى فى الشعب : أن دانيال عليه السلام طرح فى جب وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه ملك فقال: من أنت ؟ فقال: أنا رسول ربك أرسلنى إليك بطعام فقال دانيال : الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره وروى ابن أبى الدنيا أن بختنصر ضرى أسدين وألقاهما في جب وألقى بدانيال فألقى عليهما فمكث ما شاء الله ثم انه اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلي أرمياء وهو بالشام أن يذهب إلي دانيال بطعام وشراب وهو بأرض العراق فذهب إليه به حتى وقف على رأس الجب وقال دانيال دانيال فقال : من هذا؟ فقال: ارميا فقال: ما جاء بك؟ قال: أرسلنى إليك ربك فقال دانيال: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من رجاه والحمد لله الذى من وثق به لا يكله إلى سواه والحمد لله الذى يجزى بالإحسان احسانا والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا.

ثم روى ابن أبى الدنيا من وجه آخر أن الملك الذى كان دانيال فى سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنه يولد في ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فأمر بقتل كل من يولد فى تلك الليلة فلما ولد دانيال ألقته أمه فى أجمة أسد ولبوة فبات الأسد ولبوته يلحسانه فنجاه الله سبحانه وتعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ وكان من أمره ما قدره العزيز العليم.ثم روى بإسناده عن عبد الرحمن بن

أبى الزناد عن أبيه أنه قال : رأيت فى يد أبى بردة بـن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه خاتما نقش فصه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان ذلك الرجل فقال أبو بردة: هذا خاتم دانيال أخذه أبو موسى حين وجده ودفنه فسال أبو موسى علماء تلك البلدة عن ذلك فقالوا: إن دانيال نقش صورته وصورة الأسدين وهما يلحسانه في فص خاتمه كما ترى لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك فلما ابتلى دانيال عليه السلام بالسباع أولا وآخرا جعل الله تعالى الإستعاذة به فى ذلك تمنع شر السباع التى لا تستطاع . وفى المجالسة للدينورى عن معاذ بن رفاعة قال: مر يحي بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول : سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذى تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت من قالهن استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن . وكان دانيال عليه السلام قد آتاه الله تعالى النبوة والحكمة وكان فى أيام بختنصر. قال أهل التاريخ : إن بختنصر أسر دانيال مع من أسر من بنى اسرائيل وحبسهم ثم رأى بختنصر رؤيا أفزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه ، قالوا: وقبره بنهر السوس ووجده أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه فأخرجه وكفنه وصلى ثم قبره فى نهر السوس وأجرى عليه الماء .

وفي المجالسة أيضا قال عبد الجبار بن كليب : كنا مع إبراهيم بن أدهم فى سفر فعرض لنا الأسد فقال إبراهيم: قولوا : اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا لانهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال: فولى عنا الأسد هاربا قال : فأنا به عند كل أمر مخوف فما رأيت إلا أخيرا.

هــــوامـــش

١- راجع ترجمة الدميرى فى عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين ، سابق ج٣ص٧٤٣- د. فاطمة محجوب الموسوعة الذهبية فى العلوم الإسلامية دار الغد العربى الأولى ج١٧ ص ٥٤٦،٥٤٧،٥٤٨، السيوطى ،حسن المحاضرة ج١ ص٢٤٩، ابن العماد الحنبلى شذرات من الذهب ج٧ ص٧٩،٨٠، حاجى خليفة . كشف الظنون سابق ٣٨٦،٦١٩،٦٩٦. وغيرها ،الزرعلى ،الأعلام ج١١٨/٧، السخاوى، الضوء اللامع، ٥٩/١٠، العقد الثمين: ٣٧٢/٢.

الفصل الثالث

مصادر الأدب والنقد والبلاغة

يجدر بنا قبل الخوض فى هذه الزاوية من زوايا تراثنا العربى أن نتحدث فى عجالة عن نشأة هذه الفنون العربية- الادب والنقد والبلاغة- ومفهومها وتطور مدلولاتها وأزعم أن هذا الدرس ذو ضرورة خاصة لما يمكن أن يثيره من لبس وخلط فى أذهان الدارسين أحيانا فنحن عندما نصف فى المكتبة العربية وجب علينا أن نعيش كما كان أبابها يعيشون ونفكر كما كانوا يفكرون وبمعنى آخر لا ينبغى لنا أن نحكم على التراث بمفهوم عصرنا فارضين عليه مصطلحاتنا الحديثة إلا بقدر ما يتلاءم مع روحه وماهيته وخصائصه العامة .

فالثابت أن المكتبة العربية قد عرفت التأليف فى فترة مبكرة ، منذ منتصف القرن الثانى الهجرى وظهور الجاحظ وابن قتيبة ثم جيل المؤلفين بعدهما من أمثال المبرد وثعلب وابن عبد ربه وغيرهم.

ومما يلفت نظر الباحثين من الظواهر التى سادت البيئة الأدبية الموروثة أن جزءا كبيرا من تلك المصادر التراثية تشغله المكتبة الأدبية والنقدية والبلاغية وقد أدى إلى بروز هذه الظاهرة عدد من العوامل:

١- يرجع هذا الاهتمام بالتصنيف فى الأدب والنقد والبلاغة إلى عناية العرب بصفة عامة بالشعر بوصفه مادة الأدب الأساسية إذ كان يمثل لهم أهمية خاصة فى حياتهم فهو بوقهم الذى ينفرون على أثر الاستماع إليه وهو طبولهم التى يكرون بعد قرعها وهو الصحيفة التى تنشر فكرهم وتحفظ أنسابهم وتثنى أعدائهم ... إلخ.

٢- من الدوافع أيضا أن الشعر كان عند العرب فنهم الرئيسى ولم يكن لديهم فن غيره كأمة الفرس أو اليونان أو غيرهم من الذين كانوا يعنون بشعرهم بوصفه أحد فنونهم وليس كل ما لديهم فلم يكن العرب يبرعون فى غير فن القول وخصوصا الشعر مما جعل الإعجاز القرآنى والتحدى الربانى منصبا ومركزا فى الأساس على الإعجاز فى البيان واللغة.

٣- والدافع الثالث أن القرآن الكريم يعتمد فى الأساس على اللغة والبيان فى نشر الدين إذ يخاطبهم بما برعوا فيه وتفوقوا .

وإذا تحدثنا عما تدل عليه كلمة أدب عند العرب فإنها لم يكن لها نفس المدلول الذى نعنيه حديثا فقد دلت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء على التهذيب والرقى الأخلاقى واستخدمت فى العصر الأموى بمعنى الشعر ثم اتسعت فى العصر العباسى فأصبحت تعنى كل ما يكتب أو يلفظ بشكل فنى وتعبير جميل.

وفى هذا العصر اتسع مدلول الكلمة أيضا ليشمل كل المعرفة الإنسانية إذا عبر بشكل منظم منسق فكأنه فى هذا المفهوم قريب من المأدبة التى تحوى كل ما لذ وطاب وهذا عينه هو المعنى المادى الأولى لمادة أدب .

وقد عرفت الحضارة العربة الإسلامية عددا من المؤلفين كانت طريقة تناولهم لموضوعات مؤلفاتهم طريقة شاملة فجمعوا فى هذه المؤلفات قدرا هائلا من المعارف السابقة إلى جانب معارف عصرهم وفقا لما كان شائعا لديهم من مفهوم للأدب على أنه الأخذ من كل شئ بطرف والفقيه المتأدب هو كل من أحاط بعلوم عصره أو على حد تعبير الحسن بن سهل أحد وزراء العصر العباسى حيث يقول: إن الآداب عشرة: ثلاثة شهر جانية وثلاثة أنو شهر وانية وثلاثة عربية وواحدة أربت عليهن.

فأما الشهرجانية : فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج وأما الأنوشروانية : فالطب والهندسة والفروسية وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس واما الواحدة التى أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس فى المجالس وقد أدى هذا بالطبع إلى أن تكون ثقافة الأديب ثقافة عامة موسوعية وإلى أن تكون الكتابات التى تتناول هذه الثقافات كتابات موسوعية كذلك . أما بالنسبة لمفهوم النقد والناقد عند العرب قديما فإنهم كانوا يتصورون النقد والناقد فى إطار الصورة العامة للأدب فالأدب عندهم صناعة كسائر الصناعات والنقد صناعة ولكنه غير قائم بذاته بل متصل بالأدب فهى صناعة تذوق لا صناعة خلق وإنشاء .

يقول ابن سلام فى طبقاته واصفا صناعة الأدب:

"وللشعر صناعة ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما تثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجا و زائفا وستقوها ومفرغها (٢)... فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به.(٣) ويقول ابن رشيق القيروانى فى عمدته: " و قد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفى ويخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينتقص قيمته.

وعلى هذا فالناقد عند العرب هو الرجل الذى يستطيع أن يميز بين الجيد والردىء من القول ويعتمد فى هذا التمييز على الخبرة والخبرة متعددة الجوانب، منها ما هو طبيعة فى الناقد وهى موهبة فيه يوهبها كما يوهب الشاعر ملكة الشعر ومنها ما هو مكتسب بالدربة والممارسة والصلة الطويلة بالصناعة يتولاها الناقد بنقده فيلم بأصولها وخباياها.

أما فيما يختص بالبلاغة فإن مفهومها وماهيتها قد اختلفت اختلافا كبيرا وتباينت عبر رحلتها منذ المصنفين الأوائل فكانت كلمة البلاغة إذا وردت قديما وخصوصا قبل القرن الرابع الهجرى تعنى المعنى العام للقول الجميل الذى يبلغ به الأديب درجة من الجودة والإبداع وهى أكثر ما تطلق وصفا فيقال : فى قول فلان بلاغة وتتعدد جوانب الجودة بتعدد نظرة من يستخدم اللفظة (٥).

هذا فقد عرف النقاد البلاغة بانها مجموعة الخصائص التى توفر للقول الجودة والفوا فيها ثم نجدهم يضيفون معنى جديدا للبلاغة كما ظهر فى كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى إذ يتحدث فى بداية كتابه عن القول فى البلاغة يعنى "البيان" وينقل آراء الجاحظ وجملا من أقواله فى البلاغة بمعناها العام .

وفى النصف الثانى من الكتاب يتحدث عن البلاغة باعتبارها مجموعة الخصائص التى تتوافر فى كل قول جميل ويفرد لذلك أبوابا كل باب كل باب

يستقل بنوع من تلك الخصائص، يبدؤها بالخصائص الجميلة ثم يثنى بالخصائص القبيحة فالتشبيهات الحسنة والتشبيهات القبيحة وهكذا.

كذلك الروماني في "النكت" يستخدم البلاغة بالمعنيين جميعا فيقول(٦): " فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس وليست البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ والآخر عيي ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة ".

ثم يقسم البلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان(٧).

وبذلك حدد الروماني في هذا الكتاب مدلول الكلمة في معناها الاصطلاحي المعروف وأصبحت بعده عنوانا لهذه المجموعة من الخصائص الأسلوبية والجمالية الأخرى في البيان والتي تدخل ضمنها أبواب البديع باعتبارها تلك الفنون التعبيرية التي لجأ إليها المحدثون ليكسبوا أدبهم رونقا بعد أن ضاق عليهم نطاق القول أو أحسوا بضيق نطاقه على ما اعتاد القدماء أن يقوموا ووفق قواعد الشعر التي اصطنعوها وكانوا أقدر عليها وكذلك لتلائم هذه الفنون التعبيرية رونق الحضارة وطلاوتها .

ويبدوا أن هذا الجمع بين أبواب البلاغة كما وصفها الروماني وأبواب البديع كما ذكرها المعتز قبله في كتاب "البديع" والجمع بين الاثنين في كتاب الصناعتين كان دليلا على أن تلك الخصائص التعبيرية كانت مختصة بالفنين جميعهما الشعر والنثر وليست مقتصرة على النثر ولا أسلوب القرآن كما أنها ليست مقصورة على الشعر وشعر المحدثين ".(٨)

وبناء على ما سبق نستطيع أن نخرج بنتيجة أخيرة هى أنـه فى نهاية القرن الرابع الهجرى ظهرت كلمة بلاغة بمدلولها الاصطلاحى المعروف وألف عبد القاهر الجرجانى كتاب"أسرار البلاغة " وهو مدرك لهذا المدلـول تمـام الإدراك ويقـول المؤرخون للبلاغة إن عبد القاهر هو الذى وضع الأسس الواضحة لهذا العلم بتاليفه كتاب "دلائل الإعجاز " فى "علم المعانى" و"أسرار البلاغة " فى" علم البيان "وبعـد: نشير إلى عدد من المصنفات التـى أثرت مكتبتنا التراثية على اختلاف أنواعها أدبا ونقدا وبلاغة فمنها البيان والتبيين للجاحظ توفى ٢٥٥هـ والحيوان والبخـلاء لـه أيضا والكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وأمثال العرب للمفضل المنى (ت ١٦٨هـ) وجمهرة الأمثال لأبـى هـلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) ومجمع الأمثال للميدانـى، أبـو الفضـل أحمـد بـن النيسـابورى (ت ٥١٨هـ)ومـن مجموعـات الخطـب والرسـائل والمقالات نذكر:رسائل الجاحظ للجاحظ أبو عثمان عمـرو بـن بحـر(ت ٢٥٥هـ) ورسـائل الصـاحب بن عبـاد للصـاحب بـن عبـاد، مقامـات بديـع الزمـان الهمزانـى للهمزاني ومقامات الحريرى للحريرى ومـن مصادر كتب الأخبار الأدبية والتـاريخ الأدبى نذكر: مجالس ثعلب لثعلب، أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ) والموشى أو كتاب الظرف والظرفاء للوشـاء، أبـو الطيب محمد بن اسحق (ت ٣٢٥هـ)وأدب الكتـاب للصولى،محمد بـن يحيـى (ت ٣٣٥هـ) والأمـالى للقـالى أبـو علـى إسمـاعيل بـن القاسم(ت ٣٥٦هـ) وزهر الآداب وعز الألباب للحصرى القيروانى، أبو اسحق إبراهيم (ت ٤١٣هـ) ومـن مصـادر النقد الأدبـى النظريـة والتطبيقيـة نذكـر :كتـاب القوافـى للأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، محمد بن سلام الجمحى (ت ١٣٢هـ) وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وعبد الله بـن مسلم(ت ٢٧٦هـ) وقواعـد الشعر لثعلب، أبـو العباسى أحمـد بـن يحيـى(ت ٢٩١هـ) وكتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ) وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر وأخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى(ت ٣٢٥هـ) والموازنة بين شعر أبـى تمام والبحترى للأمدى، أبـو القاسم الحسن بـن بشر (ت ٣٧٠هـ) والوساطة بين المتنبـى وخصومه للقـاضى الجرجـانى (ت ٣٩٢هـ) والصنـاعتين لأبـى هـلال العسـكرى (ت

٣٩٥هـ) والعمدة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٠هـ) ومن مصادر الدراسات البلاغية نذكر: الفصاحة للدينوري(ت ٣٨٠هـ) والفصاحة للمرزباني بكر بن عبد الله (ت ٤٧١هـ) والمفتاح للسكاكي. أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) ولتلخيص في علوم البلاغة للقزويني ،جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ).

وهاكم فيما يأتي دراسة لقطرات من هذا البحر الخضم من المصنفات التراثية :-

هـــوامـــش

١- راجع د. السعيد الورقى ، مصادر التراث العربى ص٩٩

٢-البهرج: الردىء الفضة ، فيبطل ويرد. الستوق: إذا كان من ثلاث طبقات يرد ويطرح،و المفرغ: المصمت المصبوب فى قالب ليس بمضروب.

٣-محمد بن سلام الجمحى (١٣٩-٢٣١هـ) طبقات فحول الشعراء. شرحه: محمود محمد شكر ج١ ص٧

٤-ابن رشيق، العمدة فى الشعر ٧٥/١

٥-راجع الجاحظ ، البيان والتبيين ١١٣/١، ١٠٦

٦-ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ٦٩

٧-السابق ص٧٠

٨-د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى، ص٢٠ وما بعدها

أولا

الحيوان للجاحظ

حياته وعصره:

الجاحظ إمام عصره فى الكتابة وأمير البيان هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى ولد بالبصرة ١٥٩هـ وتوفى سنة ٢٥٥هـ فقد عاش الجاحظ فى العصر الذهبى للأمة العربية عصر هارون والمأمون والعلوم والفنون يومئذ لذا ذخر عصره بمؤلفات عديدة وجمهرة عظمى من العلماء .

وقد عاصر الجاحظ ممن ضربوا بسهم كبير فى وقارة الإنتاج الفكرى والتأليف واستووا على عاية قصر عنها من عداهم وهم:-

١- أبو عبيد معمر بن المثنى (١١٠-٢٠٩) وكان من أهل البصر .ولد وتوفى بها وقد ذكر صاحب الوفيات أنه قد ترك ما يقارب مائتى مصنف(١) ذكر منها ابن النديم مائة وخمسة (٢) وقال فيه الجاحظ "لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى اعلم بجميع العلم منه "(٣)

٢- أبو الحسن على بن محمد المدائنى (١٣٥-٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفا كما ورد فى فهرس ابن النديم وقد روى الجاحظ عنه فى البيان وفى الحيوان روايات كثيرة .

٣- هشام بن محمد الكلبى الكوفى (ت ٢٠٦) وقد حصرها عبد السلام محمد هارون فى تسعة وثلاثين ومائة مصنف.

وقد أفاد الجاحظ إفادة كبيرة من صحبته لهؤلاء الأساتذة فعشق القراءة والكتابة وكان من أقرأ أهل عصره إذ دفعه ذلك إلى أن يكرى دكاكين الوراقين فيقيم على ما فيها من كتب فيقرؤها كما أثبت أبو هفان (٤) العجيب أن هذه الكتب التى عشقها غدرت به وقتلته بسقوطها عليه (٥) وعلى الرغم من ذلك كله فإنه قد ترك لنا مجموعة ضخمة من المؤلفات.

تصنيفـــاتـــه :

ترك لنا الجاحظ مصنفات فى شتى ألوان المعرفة قدرت بما يقارب ستين وثلاثمائة مصنف (٦) وذكر ابن حجر أنها مائة ونيف وسبعين كتابا (٧).

والسؤال الذى يطرح نفسه: أين ذهبت كتب الجاحظ العديدة ولم تصل إلينا؟ لابد إذن أن تكون هناك أسباب أدت إلى هذا نحاول الإشارة إليها فيما يأتى أو على الأقل نذكر بعضها :-

١ - إن أعاصير الخلاف المذهبى قد عصفت ببعضها وفضا لما كانت تحوى من آراء المعتزلة الذين كان الجاحظ من رؤسهم.

٢- أدى إلى ذلك أيضا الخمود الذهنى وهبوط الهمم.

٣- الفوضى السياسية التى منيت بها الأمم الإسلامية فى مسانها الأول والتى كانت قائمة- فى أكثر ما تقوم- على التدمير والتخريب والانتقام ويثبت هذه النقاط الثلاث أن الفهرست لابن النديم لم يذكر الجاحظ ومصنفاته إلا عرضا.

وأهم كتب الجاحظ التى تركها لنا (٨):

١ -الحيوان وفيه مجموعة مناظرات جدلية بين أنصار كل حيوان تحتج له مفاضلة ومفضلة ومؤيدة بالحجج والمقنعات .

٢ - المحاسن والمساوئ وهو محاجات جدلية تعرض لمحاسن الشيء ومساوئه.

٣ - البيان والتبيين.

٤- كتاب الإمامة.

٥ - نظم القرآن.

٦ - الرد على المشبهة.

٧ - الموالى والعرب.

٨ - مدح التجار.

٩ - ذم عمل السلطان.

١٠ - كتاب البخلاء.

ويؤخذ على مؤلفات الجاحظ افتقارها إلى حسن النظام والتبويب وكثرة الاستطرادات وربما كان مرجع هذا إلى المفهوم الذى كان سائدا آنذاك للأدب على أنه الأخذ من كل شئ بطرف فيجمع من ثم بين التهذيب والمعرفة والتسلية .

إذن كان للجاحظ وجهة خاصة فى كتبه وتأليفه فلم يكن همه هم غيره من المؤلفين فى الجمع والرواية والحفظ وإنما حاول أن يبتكر موشيا ما يقول بالدعابة والهزل فجمع بذلك قلوب المستمعين إليه وكان يتقرب إلى العامة(٩) كما استمال أيضا إعجاب الخاصة فى المعارف العالية والسياسات الرفيعة.

كتاب الحيوان:

لقد سبق اليونانيون العرب فى وضع كتب يكون موضوعها الحيوان أما عند العرب فكان الجاحظ أول من وضع كتابا فى هذا الفن يحوى مادة غزيرة ومنهجا واضحا إلى حد كبير بالرغم من أنه سبق ببعض المحاولات لكن هذه المصنفات لم توضع بالقصد العلمى الخالص بل كانت باحثة فى اللغة أولا(١٠).

مصادر كتاب الحيوان: -

اعتمد الجاحظ فى تأليفه كتاب الحيوان على عدد من المصادر نذكر منها : -

١ - القرآن الكريم و الحديث النبوى الشريف .

٢ - الشعر العربى و بصفة خاصة البدوى منه حيث كثر وصف الإبل و الخيل و غيرها .

٣ - كتاب الحيوان لأرسطو .

٤ - الفكر الإعتزالى و جدل المتكلمين الذى يبرز بوضوح خصوصاً فى الجزئين الأول و الثانى من الكتاب .

٥ - الخبرة الشخصية و كثرة سؤال العارفين .

صعوبة تأليف كتاب الحيوان : -

لقد واجه الجاحظ فى أثناء تأليفه هذا الكتاب صعوبات كثيرة خصوصا أنه كان فى الشطر الأخير من حياته وقد ذكر هو نفسه هذه الصعوبات (١١) وهى:-

١ - العلة الشديدة إذ كان قد أصيب بالفالج لمدة قد تحتل ربع عمره : اثنتين وعشرين سنة تقريبا (١٢).

٢- قلة الأعوان الذين كان لابد له من الاستعانة بهم فى هذه الظروف.

٣- حجم الكتاب الضخم إذ كلفه البحث فى القرآن والحديث والشعر والأخبار والجدل وغير ذلك من كتب الفلاسفة والأطباء.

أهمية كتاب الحيوان ومنهج الجاحظ فيه:

قيمة كتاب الحيوان:

لا يعرف فضل هذا الكتاب إلا من نظر فيه طويلا وتناول نواحيه بالدرس والتبيين . وقد يوهم اسمه أنه قد خصص بالحيوان وما يمت إليه بسبب . ولكن الحق أن الكتاب معلمة واسعة وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسى المتشعبة الأطراف.

فقد حوى الكتاب طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية كما تحدث فى سياسة الأقوام والأفراد وكما تكلم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية.

تحدث الكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية وفى خصائص كثير من البلدان وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر كما تناول الحديث فى الأجناس البشرية وتباينها وكما عرض لبعض قضايا التاريخ .وفيه كذلك حديث عن الطب والأمراض: أمراض الإنسان والحيوان وبيان لكثير من المفردات الطبية نباتيها وحيوانيها ومعدنيها.

تحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب وأحوالهم وعادهم ومزاعمهم وعلومهم كما أفاض القول فى آى الكتاب العربى وحديث الرسول العربى وكما فصل بعض مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوان جمع الصفوة المختارة من حر الشعر العربى ونادره وناهيك باختيار أبى عثمان وإن أردت الأمثال فإنه قد جمع لك منها القدر الكبير أو أحببت الحديث فى البيان ونقد الكلام والشعر وجدت ما ترتاح إليه نفسك وتطمئن .

أما فكاهة الجاحظ فهذه قد نثرت فى الكتاب نثرا وإنها لتطالعك بين الفنية والأخرى متمثلة فيما يروى من نادرة أو يحكى من قصة وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبي عصر الجاحظ التى لم فيها حرج حينئذ ولا خشية.

نموذج من كتاب الحيوان للجاحظ

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايبها ومثالبها: من لؤمها وجبنها وضعفها وشرها وغدرها وبذائها وجهلها وتسرعها ونتنها وقذرها وما جاء في الآثار من النهى عن اتخاذها وإمساكها ومن الأمر بقتلها وطردها ومن كثرة جناياتها وقلة ردهاومن ضرب المثل بلؤمها ونذالتها وقبحها وقبح معاظلتها ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها وتقذر المسلمين من دنوها [وأنها تأكل لحوم الناس] وأنها كالخلق المركب والحيوان الملفق: كالبغل في الدواب وكالراعى في الحمام وأنها لا سبع ولا بهيمة ولا إنسية ولا جنية وأنها من الحن دون الجن وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى وأنها يعتريها الكلب من أكل لحوم الناس.

فإذا حكينا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها وصنف مناقبها وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها وتفدية الرجال إياها و استهتارهم بها وذكر كسبها وحراستها ووفائها وإلفها وجميع منافعها والمرافق التى فيها وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف والأدب المحمود وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم وذكر حفظها ونفاذها واهتدائها وإثباتها لصور أربابها وجيرانها وصبرها ومعرفتها بحقوق الكرام وإهانتها اللئام وذكر صبرها على الجفا واحتمالها للجوع وذكر ذمامها وشدة منعها معاقد الذمار منها وذكر يقظتها وقلة غفلتها وبعد أصواتها وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها وكثرة أعمامها وأخوالها وترددها في أصناف السباع وسلامتها من أعراق البهائم وذكر لقنها وحكايتها وجودة ثقافتها ومهنها وخدمتها وجدها ولعبها وجميع أمورها بالأشعار المشهورة والأحاديث المأثورة وبالكتب المنزلة والأمثال السائرة وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها وما عاينوا منها وكيف قال أصحاب الفأل فيها وبإخبار المتطيرين عنها وعن أسنانها وأعمارها وعدد جرانها ومدة حملها وعن أسمائها وألقابها وسماتها وشياتها وعن دوائها وأدوائها وسياستها وعن اللاتى لا تلقن منها وعن أعراقها والخارجى منها وعن أصول مواليدها

ومخارج بلدانها وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال:
قال الجارود بن أبي سبرة في ذلك:

ألم تـــر أن الله ربـــي بحولـــه	وقوته أخـزى ابـن عمـرة مالكـا
فمن كـانَ عنـه بـالمغيب سـائلا	فقد صار في أرض الرصافة هالكـا
تظل الكـلاب العـاديات ينبشه	إذا اجتبـن مسودا من الليل حالكا

وقال نفيع بن صفار المحاربي من ولد محارب بن خصفه في حرب قيس وتغلب:

أفنت بي جشم بن بكـر حربنـا	حتى تعادل ميل تغلـب فاستوى
أكل الكلاب أنـوفهم وخصـاهم	فلتبـك تغلب للأنـوف وللخصى

وقال أبو يعقوب الخريمي وهو اسحاق بن حسان بن قوهي في قتلى حرب بغداد:

وهل رأيـت الفتيـان فـي باحـة	المعـــرك معفـــورة مناخرهـــا
كـــل فتـــى مـــانع حقيقتـــه	يشقى بـه فـي الوغـى مساعرها
بـــاتت عليـــه الكـلاب تنهشه	مخضـوبة من دم أظـافـرهـا

وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد، مولى مروان بن محمد ويكنى أبا محمد):

يوســـف الشـــاعر فـــرخ	وجـــــــدوه بالأبلـــــــه
حلقـــــي قـــــد تلقـــــي	كامنـــا فـــي جـــوف جلـــه
خيطـــوهـــا خشيـــــة	الكلـــــب عليــه بمسـألــه

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي قال: كنا عند الحسن إذا أقبل وكيع ابن أبي أسود فجلس فقال يا أبا سعيد: ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب:
أيصلي فيه؟ فقال: يا عجبا ممن يلغ في دم المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث !! فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج المجنون فقال الحسن: إن لله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك!!

هوامش

١- الوفيات ج٢ ص١٠٦

٢- الفهرسبت ٧٩

٣- البيان والتبيين ج١ ص٣٤٧

٤- راجع ابن النديم الفهرست ص٢٠٧

٥- شذرات الذهب ج٢ ص١٧٢

٦- راجع مرآة الزمان الورقة٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر . مصورة دار الكتب المصرية والمسعودى ، مروج الذهب ج٤ ص٣٥٧

٧- لسان الميزان ج٤ ص٣٧٥ وياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج٦.٧٥. ٧٨

٨- راجع معجم الأدباء (٦:٧٢- ٧٣) والحيوان (٤: ٣٧٨) ومروج الذهب (٤: ٤٧) وفيات الأعيان (١:٣٨٩) ، تاريخ بغداد (١٢:٢١٤) ، معجم الأدباء (٦:٦٥.٧١)

٩- البيان والتبيين ١:١٣٧

١٠- راجع كشف الظنون ١:٤٥٦، ابن خلكان ٢:١٨٨ وابن النديم الفهرست ٦٧ والأصمعى كتاب الوحوش والخيل والشاء

١١- الحيوان ٤:٢٠٨-٢٠٩

١٢- راجع تاريخ بغداد ١٢:٢١٩ ،الحيوان ٢:١٢٦-٣٢٩، ٦:٤٠١، ٤:٤١٩ ، ٧:١٠٩ ، الحصرى وجمع الجواهر ١٦٥ ، شذرات من الذهب ٢:١٢٢، معجم الأدباء ٧:٧٥،٧٦، شرح العيون١٣٦ ، مروج الذهب ٤:٩٧، شذرات الذهب ٢:٩٣، البيان والتبيين ٣:٢٠٢

٢- كتاب البخلاء للجاحظ

البخلاء بين الجاحظ وغيره : -

لم يكن الجاحظ هو المبتدع للكتابة فى موضوع البخلاء : فابن النديم فى الفهرست ، و الجاحظ نفسه فى كتاب البخلاء ، يشير إلى أن له فى هذا الموضوع أسلافاً من أمثال الأصمعى و أبى الحسن المدائنى و أبى عبيدة . و لكن الأمر مختلف بين الجاحظ و بينهم : إذ أنهم كانوا يتحدثون عن البخل و البخلاء فيما مضى قبل لحظة الكتابة و التأليف . أما الجاحظ فقد انتقل بالموضوع من الماضى إلى الحاضر فكانت قصصه حاضرة معيشة مسرورة فى شكل طريف و قالب فنى بديع لطيف ، و إن كانت الكتابة فى البخلاء سواء قبل الجاحظ و بعده يدفعها و يوجهها عاملان رئيسيان : -

١ - الدافع الأول لهذا اللون من حديث البخل تلك الخصومة الجنسية التى ثارت بين الروح العربية و الروح الشعوبية ، كما و جهت أنواعاً أخرى مختلفة من الأحاديث ، و خلقت ضروباً أخرى من الكتب و التأليف .

٢ - و الدافع الثانى كان يتمثل فى قيام دعاة الدولة القائمة- العباسية- و من وضعوا أنفسهم فى خدمة السلطان ، و مسايرته فى سبيله من العلماء و أهل الأدب ، و من هؤلاء من ينصر الدعوة العربية و يتعصب لها كالأصمعى ، و منهم من هو أميل إلى الشعوبية كالمدائنى . و ليست الدعوة للدولة ببعيدة عن الدعوة للشعوبية . فبينهما وشائج واصلة ، و إن كانت قد اتخذت لوناً خاصاً بها ، و لقد كانت الدولة العباسية تشعر منذ قامت على أنقاض الأمويين . بالحاجة إلى التمكين لنفسها . و التخلص من هذه الأشباح الأموية التى كانت تتخايل لها . ببث الدعوة ضد هؤلاء الذين كانوا ما يزالون يمثلون فى كثير من الأذهان طائفة من المزايا و الفضائل ، لابد للدولة من محاولة محقها باصطناع ضروب مختلفة من الدعاية ، إلى جانب ما كانت تصطنعه من اخد الامويين و أنصارهم بالقوة ، و تحريم الإشادة بذكرهم ، فكان من مظاهر هذا الموقف الذى اتخذته ضد الأمويين أن يوحى إلى العلماء و الكتاب بكتابة الكتب و إذاعة الرسائل . إشادة بمآثر الدولة القائمة ، و تمجيد العباس بن عبد المطلب ، و تفضيل هاشم

على عبد شمس . إلى غير ذلك من الموضوعات التى تحقق ذلك الغرض ، من التماس شنع الامويين و تصنيف الكتب فيها . و طبيعى أن يكون لرواة الاخبار نصيبهم الموفور من هذه السياسة . و كذلك جعلوا يتلقفون أخبار الشنع ما وجدوها . و يضعونها و يتزيدون فيها على خلفاء بنى أمية و عمالهم و سراتهم (١)

تاريخ تأليف كتاب البخلاء : -

ليس لدينا تاريخ قاطع نستطيع به أن نحدد على وجه اليقين متى صنف كتاب البخلاء . و إن كان لدينا حقيقتان يمكن أن نهتدى بهما :

١ - إن كتاب البخلاء مذكور فى مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ (٢) و هذا يعنى أن كتاب البخلاء سابقاً على كتاب الحيوان .

٢ - إنه يشير فيه إلى إصابته بالفالج فى سياق قصة رجل يدعى محفوظاً النقاش ، إذ يحكى عنه أنه قال له :

(... و أنت رجل قد طنعت فى السن و لم تذل تشكو من الفالج طرفا) (٣) ، إذن فقد كتب الجاحظ كتابه البخلاء بعد أن أصيب بالفالج .

أما كتاب الحيوان فنستطيع القطع فى طمأنينة علمية بأنه كتبه فى أواخر حياته ، بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧ ، و أكبر الظن عنده أنه كتبه قبيل وفاته ، و أما إصابته بالفالج فلا نملك ما نقطع معه بتاريخ ابتدائها ، و إن كان يبدو أنها إبتدأت فى أواخر عهد ابن الزيات ، قبل مقتله سنة ٢٣٣ هـ (٤) .

إن هذا كله لا يشبعه رغبتنا الطامحة إلى معرفة تاريخه على وجه الدقة ، لكننا نستطيع الجزم بأن اتجاه الجاحظ إلى مثل هذا النوع من التأليف الفنى الخالص إنما كان بعد ما علت سنه و اتسع أفقه و بلغ من الدراسة النظرية الكلامية ما يريد ، و استوت له المنزلة له المنزلة التى كان يطمح إليها . فاخذ بعد ذلك ينزع إلى ذلك النوع من الكتابة .

الخصائص الفنية لكتاب البخلاء : -

إن أهم ما يميز أسلوب الجاحظ فى كتابه البخلاء ما يأتى : -

١ - البراعة فى الوصف و الدقة فى التصوير : و المقصود بالوصف هنا الوصف الحسى و النفسى على السواء ، و هو فى سبيل ذلك لا يلجأ إلى التشبيهات و الإستعارات، بل إعتمد على قوة إدراكه لقيم الكلمات . و إحساسه الملهد بالظلال التى تنتشر عنها ، وهدايته البالغة فى كيفية تأليفها و تنسيقها و مزج ما بينها ، حتى تؤدى الأغراض التى يعنيها .

٢- السخرية التى تشيع فى كتاباته المختلفة ، و هى تبرز بصفة خاصة فى كتاب البخلاء ، و مما تجدر الإشارة إليه أن السخرية عند الجاحظ إنما هى السخرية التى تقصد فى الأذواق المترفة و المدارك المرهفة و لم تكن بحال من الأحوال سخرية العامة ، إذ كانت سخرية الذهن الدقيق و الذوق الرفيع المهذب و الفن الخالص المتمكن .

نموذج من كتاب البخلاء للجاحظ

و حدثنى صاحب لى وقال :

دخلت على فلان ابن فلان ، و اذا المائدة موضوعة بعد ، و اذا القوم قد أكلوا و رفعوا أيديهم ، فمددت يدى لآكل فقال : أجهز على الجرحى ، و لا تعرض للأصحاء . يقول : أعرض للدجاجة التى قد نيل منها ، و للفرخ المنزوع الفخذ . فأما الصحيح فلا تعرض له . و كذلك الرغيف الذى قد نيل منه و أصابه بعض المرق .

و قال لى هذا الرجل : أكلنا عنده يوماً ، و أبوه حاضر ، وبنى له يجيئ و يذهب . فإختلف مراراً ، كل ذلك يرانا نأكل . فقال الصبى : كم تأكلون لا أطعم الله بطونكم!

فقال أبوه - و هو جد الصبى - ابنى و رب الكعبة .

حدثنى أبو الجهجاه النوشروانى قال :

حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال :

كنا نفطر عند الباسياني * فكان يرفع يديه قبلنا و يستلقي على فراشه و يقول: إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً .

و كنت أنا و أبو اسحاق إبراهيم بن سيار النظام . و قطرب النحوى ** ، وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد ، على خوان فلان بن فلان . و لاخوان من جزعه والغضار صينى ملمع . أو خلنجية كيما كية . و الألوان طيبة شهية و غذية قدية * . وكل رغيف فى بياض الفضة ، كأنه البدر و كأنه مرآة مجلوة و لكنه على قدر عدد الرؤوس . فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة . و لم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ، و لم يمدوا بشئ فيتموا أكلهم . و الأيدى معلقة . و إنما هم فى تنقير و تنتيف .

فلما طال ذلك طال ذلك عليهم ، أقبل الرجل على أبى الفتح - و تحت القصعة رقاقه - فقال :يا أبا الفتح خذ ذلك الرغيف فقطعه واقسمه على اصحابنا . فتغافل أبو الفتح . ثم أعاد عليه القول فتغافل فلما أعاد عليه القول الرابعة قال : مالك ويلك لا تقطعه بينهم ؟ قطع الله أوصالك ! قال : تبتلى على يدى غيرى اصلحك الله ! فخجلناه مرة ، وضحكنا مرة ، وما ضحك صاحبنا ولا خجل .

وزرته أنا والمكى وكنت أنا على حمار مكارى ، والمكى على حمار مستعار . فصار الحمار إلى أسوأ من حال الزور . فكلم المكى غلمانه فقال : لا أريد منكم التبن فما فوقه ، اسقوه ماء فقط . فسقوه ماء بئر ، فلم يشربه الحمار ، ، وقد مات عطشا . فاقبل المكى عليهم ، فقال : أصلحك الله انهم يسقون حمارى ماء بئر ، ومنزل صاحب الحمار على شارع دجلة ، فهو لا يعرف إلا العذب . قال ، فامزجوه له يا غلام فمزجوه فلم يشربه . فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لا يسمع إلا ما يشتهى .

وقال لي مرة : يا أخى ان ناسا من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها فى المري فأقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يعجبون بالحامض . فما البث ان أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقه ، فيغمسها في الخل الحاذق و يغرقها فيه . وربما رأيت أحدهم يمسكها في الخل بعد التغريق ساعة ، فأقول : هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة إلى حب الملوحة . ثم لا البث ان آراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل . و الخردل لا

يرام : قل لى أى شئ طبائع هؤلاء ؟ و أى ضرب هم ؟ و ما دواؤهم ؟ و أى شيء علاجهم ؟

فلما رأيت مذهبه و حمقه ، وغلبة البخل عليه و قهره له ، قلت : ما لهم عندى علاج هو أنجع فيهم من أن يمنعوا الصباغ كله . قال : لا و الله إن هو غيره !

وصديق لنا آخر ، كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام ، و هجس ذلك فى نفسه ، وتوهم أنا قد تذاكرنا أمره . فكان يتزيد * فى تكثير الطعام ، و فى اظهار الحرص على أن يؤكل ، حتى قال :

من رفع يده قبل القوم غرمناه ديناراً * فيرى بعضهم أن غرم دينار أولى . فذلك منه محتمل فى رضا قلبه ، و ما يرجو من نفع ذلك له .

و لقد خبرنى خباز لبعض أصحابنا أنه جلده على إنضاج الخبز . و أنه * قال له : انضج خبزى * الذى يوضع بين يدى و اجعل خبز من ياكل معى على مقدار بين المقدارين * . و أما خبز العيال و الضيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يصبر العجين رغيفاً و بقدر ما يتماسك فقط . * فكلفه العويص * فلما أعجزه ذلك جلده حد الزانى الحر .

فحدثت بهذا الحديث عبد الله الروضى ** فقال : ألم تعرف شأن الجدى ؟ ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج . و ذلك أنه قال له ضع الجدى فى التنور حين نضع الخوان ، حتى أستبطئك أنا فى إنضاجه ، و تقول أنت : بقى قليل . ثم تجيئنا به و كأنى قد أعجلتك . فإذا وضع بين أيديهم غير منضج * ، احتسب عليهم بإحضار الجدى . فإذا لم ياكلوه أعدته إلى التنور ، ثم أحضرتناه الغد بارداً فيقوم الجدى الواحد مقام جديين . فجاء به الشواء يوماً نضيجاً ، فعمل فيه القوم . فجلده ثمانين حلدة ، جلد القاذف الحرة .

حدثنى أحمد بن المثنى ** عن صديق لى و له ، ضخم البدن كثير العلم فاشى الغلة عظيم الولايات ، أنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصك له بذلك الى صاحب المطبخ .

و لقد رأيته مرة و قد تناول دجاجة فشقها نصفين * فالقى نصفها إلى الذى عن يمينه . و نصفها إلى الذى على شماله . ثم قال يا غلام جننى بواحدة رخصة . فإن هذه كانت عضلة جداً . فحسبت أن أقل ما عند الرجلين ألا يعودا إلى مائدته أبداً .

فوجدتهما قد فخرا عليَّ بما حباهما به من ذلك دونى .

وكانوا ربما خصوه . فوضعوا بين يديه الدجاجة السمينة ، و الدجاجة الرخصة . فإنطفأت الشمعة فى ليلة من تلك الليالى . فأغار على الأسوارى ** على بعض ما بين يديه و اغتنم الظلمة ، و عمل على أن الليل أخفى للويل . ففطن له و ما هو بالفطن إلا فى هذا الباب . و قال : كذلك الملوك كانت لا تأكل مع السوقة .

هـــوامـــش

١ – راجع : د . طه الحاجرى فى مقدمته لكتاب البخلاء للجاحظ . دار المعارف : ط٦ ، ١٩٨١ م . ص ٢٩ و ما بعدها .

٢ – الحيوان ١ / ٤ مصطفى البابى الحلبى .

٣ – البخلاء ص ١٢٣ .

٤ – راجع : سرح العيون . ص ١٣٦ .

٣- أمالى أبى على القالى

إن صاحب كتاب الأمالي- الذى نحن بصدده هو أبو على إسماعيل بن القاسم القالى (٢٨٨-٣٥٦)(١) ولم يكن ممن تمنيهم أنفسهم بالجاه والسلطان ولم يكن يجد فى صدره هوى إلى ألقاب السياسة أو مكاسب الثروة والغنى(٢) وإنما كان يشغل أبا على تحصيل العلم والسعى إليه أينما وجد؛ فارتحل يتلمس العلم تاركا منشأه الأول فى مدينة منازجرد(٣) حيث استقرت أسرته بل تاركا وطنه الكبير أرمينيا فى ركب أهل قلقيليا (٤).

وقد ارتحل أبو على إلى مدينة الموصل(٥) وبقربها ما يزيد على السنة وما يقرب من السنين(٣٠٣-٣٠٥هـ) وقد التقى هناك بأول مشايخه أبى يعلى الموصلى(٢١٠-٣٠٧هـ)(٦) ثم غادر الموصل إلى بغداد قبلة العلم آنذاك ومقصد العلماء وقضى فيها ثلاثة وعشرين عاما (٣٠٥-٣٢٨هـ) عاكفا على الدرس والتحصيل إلى أن تكونت شخصيته العلمية على يد كبار علمائها ثم رحل إلى قرطبة بالأندلس سنة(٣٢٨هـ) وقد اختلفت الآراء

حول أسباب هذه النقلة على النحو الآتى :

١- قيل أنه يأس من تلمس طريق المجد والشهرة فى العراق حيث عمالقة العلم وشيوخ الرواية.(٧)

٢- قيل إن الناصر أو ابنه الحكم هو الذى حثه على الرحلة واستدعاه إلى الأندلس(٨).

٣- وقيل ثالثا إن القالى ارتحل إلى الأندلس ليصيب شيئا من كسب المال والشهرة(٩).

وأيا ما كان الأمر وكانت الأسباب والدوافع فإن عالمنا الجليل وصل بعد رحلة إلى الأندلس لثلاث بقين من شعبان سنة (٣٣٠هـ) فى خلافة عبد الرحمن الناصر واستقبل استقبالا حافلا(١٠) ومنذ وطئت قدم القالى الأندلس وهو يقوم بالتدريس والإملاء حتى توفى سنة(٣٥٦هـ).

مصنفـــاتـــه

ترك أبو علي القالي للبشرية تراثا تأليفيا غزيرا ولكن أن المؤسف أن كثيرا منه نجد له ذكرا في المصادر الأخرى لكنه لم يصل إلينا وبعض هذه المصنفات قد وصلنا بالفعل لنفيد منه ونحاول فيما يأتي ذكر بعض المصنفات التي وصلتنا والتي لم تصلنا لعلها تأتينا يوما ما والجدير بالذكر أن د.محمد مصطفى أبو شوارب قد تتبع أسماء المصنفات التي لم تصلنا من خلال المصادر التي ذكرتها إضافة إلى المصنفات التي بين أيدينا (١١).

أولا المصادر المفقودة:

١- كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها

٢- كتاب تفسير المعلقات وإعرابها.

٣- كتاب حلي الإنسان والخيل وشياتها

٤- كتاب فعلت وأفعلت

٥- فهرسة أبي علي وأخباره وتسمية كتبه وتواليفه

٦- لغة مجموعة

٧- كتاب مقاتل الفرسان

ثانيا :المصنفات الباقية :

١- كتاب الآمالي الذي نشغل بدرسه

٢- المقصود والممدود

٣- كتاب أفعل من كذا(في الأمثال)

٤- البارع في اللغة وقد مات القالي قبل أن يتم تأليفه

كتاب الأمالي:

يعد كتاب الأمالي من أهم آثار القالي العلمية وأكثرها رواجا وأبعدها أثرا في القيم والحديث بل هو من أهم كتب الأمالي مطلقا ويذكر أن أبا علي أملى الكتاب " في الأخمسة بالزهراء على بني السلوك وغيرهم من أهل قرطبة ثم زاد فيه

فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا لأمير المؤمنين "(١٢) ولقد طبع الكتاب لأول مرة سنة (١٣٢٤هـ-١٩٠٦م) بمطبعة بولاق ثم أعيد طبعه سنة (١٣٤٤هـ-١٩٢٦م)بدار الكتب المصرية وعن هاتين الطبعتين وخاصة الثانية أخذت باقى الطبعات المتداولة .

وتحتوى طبعة دار الكتب التى أعقدها البحث على قسمين منفصلين :

القسم الأول: ويحتوى على كتاب الأمالى فى جزئين

القسم الثانى: ويحتوى على ذيل الأمالى ثم النوادر ثم كتاب التنبيه على أوهام ابى على فى أماليه للبكرى.

وكتاب الأمالى فى جملته كتاب أندلسى الوضع آلف بعد الفراغ من المقصور والممدود وربما بدء إملاؤه فى أثناء تأليفه فى حياة الناصر وقبل أن يتولى الحكم الخلافة أى ما بين سنتى ثلاثمائة وثلاثين(٣٣٠هـ) وهى سنة دخوله قرطبة وسنة ثلاثمائة وخمسين (٣٥٠هـ) وهى سنة وفاة الناصر الذى رفع إليه الكتاب (١٣)

رواة الكتاب من تلاميذه:

لاشك فى أن الكتاب قد لاقى من الذيوع والرواج والاهتمام الشىء الكثير وأنه قد استطاع أن يؤثر لذلك تأثيرا واسعا فى الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس ،بدأ هذا التأثير مع جماعة من تلاميذ القالى الذين اعتنوا برواية الكتاب وقراءته وحفظه وعنهم تمت رواية الكتاب فى سائر بلاد الأندلس وقد تثبت ابن خير من أن ثانية عشر رجلا منهم أخذوا عنه الكتاب كاملا وهم(١٤):

١- أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى

٢- أبو العاصى حكم بن منذر بن سعيد القاضى

٣- أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد

٤- أبو عثمان سعيد بن عثمان بن القزاز

٥- أبو العلى الحسن بن أيوب الفقيه الحداد

٦- أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل

٧- أبو بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادى

٨- أبو بكر عباس بن أصبح الحجازى

٩- أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبى الحباب

١٠- أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الجسور

١١- أبو القاسم أحمد بن محمد بن معارك العقيلى

١٢- أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم (المعروف بابن الهندى)

١٣- أبو عبد الله حبيب بن أحمد الشطجيرى

١٤- أبو سعيد أحمد بن محمد بن سليمان الأصبحى

١٥- إبراهيم بن عبد الرحمن التنيس

١٦- القاضى أبو محمد بن عبد الله بن ربيع بن بنوش التميمى

١٧- القاضى أبو القاسم خلف بن غمرون

١٨- القاضى أبو أيوب سليمان بن خلف بن غمرون

وتستمر العناية بالكتاب وروايته بعد هذه الطبقة (من تلاميذ القالى) فى البيئة الأندلسية زمنا طويلا على يد عدد كبير من العلماء يصعب إحصاؤهم ومنهم:

١- أبو عبد الله محمد بن بهلول الكفيف (١٥)

٢- مسعود بن على بن مسعود الأديب الأنصارى الأندلسى(١٦)

٣- أبو مروان حزب الله بن محمد بن على بن عبد الرحمن الأذدى(١٧)

٤- أبو جعفر أحمد بن على بن محمد الأنصارى الأوسى(١٨)

٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع الجيانى(١٩)

٦- أبو العباس بن أبى عزفة(٢٠)

٧- أبو الحسن سهل بن الحاج أبى عبد الله محمد بن سهل الأذدى الغرناطى(٢١)

٨-أبو الحسن على بن محمد بن على الرعينى الأشبيلى (٢٢)

شروح الأمالى وحواشيه:

ولعل قيمة كتاب الأمالى وأهميته(خاصة بالنسبة للأندلسيين) لا تقف مظاهرها عند حدود حرصهم على تدارسه وعنايته بصحة روايته وضبطها وانما تظهر

كذلك في عكوفهم عليه عكوفا أنتج لنا قائمة طويلة من الشروح والحواشي والطرر ياتي في مقدمتها :

١- التنبيه على أوهام أبي على في أماليه (٢٣)

٢- اللآلي شرح أمالي القالي (وهذان الكتابان لأبي عبيد البكري ت ٤٨٧هـ أو ٤٩٦هـ)

٣- نظام القرطين وضم أشعار السقطين لأبي العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري (ت ٥٥٥هـ) جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي على البغدادي كما قال ابن الأبار(٢٤)

٤- شرح الأمالي لأبي اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بالأعلى البطليوسي(ت ٦٣٧هـ)، ذكره لأبي الأبار(٢٥)

٥- مختصر الأمالي لأبي العباس أحمد بن عبد المنعم الشريشي (ت ٦١٩هـ) وقد ذكره المقرى وابن الأبار والرعيني(٢٦)

٦- المؤاخي النادر في في الجمع بين اللآلي والنوادر لأبي عبد الله الرعيني ؟ ذكره العيني(٢٧)

٧- نكت الأمالي لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي النحوي (ت ٧٤٥هـ) ذكره ابن شاكر الكتبي في ترجمته لأبي حيان (٢٨)

بناء على هذا يتضح بجلاء مدى الأهمية التي تحيط كتاب الأمالي لأبي على القالي ونشرع فيما يأتي في قراءة نموذج من هذا الكتاب .

نموذج من أمالي القالي

[مطلب حديث النبيين السبعة الذين هوت عليهم الصخرة وما قاله فيهم أبوهم من شعر وشرح غريبة]

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرني يونس قال: كان لرجل من بني ضبة في الجاهلية بنون سبعة فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون فأووا إلى غار فسقطت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم فلما استراث

أبوهم أخبارهم اقتفر آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر فأيقن بالشر فرجع وأشا يقول:

أسبعة أطواد أسبعة أبحر أسبعة آساد أسبعة أنجم
رزئتهم في ساعة جرعتهم كئوس المنايا تحت صخر مرضم
فمن تلك أيام الزمان حميدة لديه فإني قد تعرقن أعظمي
بلغن نسيسي وارتشفن بلالتي وصليننى جمر الأسى المتضرم
أحين رماني بالثمانين منكب من الدهر منح في الفؤاد بأسهم
رزنت بأعضادي الذين بأيديهم أنوء وأحمي حوزتي وأحتمي
فإن لمَ تذب نفسي عليهم صبابة فسوف أشوب دمعها بعد الدم

ثم لم يلبث بعدهم إلا يسيرا حتى مات كمدا.

قال أبو علي: أقتفر: اتبع، يقال : قفرت الأثر واقتفرته إذا اتبعته. ومرضم : منضد بعضه على بعض، قال الأصمعي :يقال: بن فلان دار فرضم فيها الحجارة رضما وذلك إذا نضد الحجارة بعضها على بعض ومنه قيل: رضم البعير بنفسه إذا رمى بها فلم يتحرك .وتعرقن: أخذن ما عليه من اللحم ،يقال: عرقت العظم وتعرقته إذا أخذت ما عليه من اللحم والنسيس: بقية النفس.

قال الشاعر: * فقد أودى إذا بلغ النسيس *

وارتشفن: امتصصن.والبلالة: الرطوبة.

وحدثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال حدثني أبو عثمان الأشنانداني قال حدثني التوزي عن أبي عبيدة قال: لما مات حصين بن الحمام سمعوا صارخا يصيح من جبل ويقول:

ألا ذهب الحلو الحلال الحلاحل ومن عقده حزم وعزم ونائل
ومن قوله فصل إذا القوم أفحموا تصيب مرادي قوله ما يحاول

فلما سمعه معية أخوه قال :هلك والله حصين وأنشأ يقول :

نعيت حيا الأضياف في كل شتوة ومدره حرب إذ تخاف الزلازل
ومن لا ينادي بالهضيمة جاره اذا أسلم الجار الألف المواكل

فمن و بمن نستدفع الضيم بعده   و قد صممت فينا الخطوب النوازل

و حدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن و أبو حاتم و الأشناندانى و الرياشى قالوا كلهم:

سمعنا الأصمعى يقول: كنت بالبادية فرأيت امرأة عند قبر وهى تبكى وتقول:

فمن للسؤال ومن للنوال   ومن للمقال ومن للخطب

ومن للحماة ومن للكماة   إذا ما الكماة جثوا للركب

إذا قيل مات أبو مالك   فتى المكرمات قريع العرب

فقد مات عز بنى آدم   وقد ظهر النكد بعد لطرب

قال: فملت إليها فمات لها : من هذا الذى مات هؤلاء الخلق كلهم بموته ؟ فقالت: أو ما تعرفه؟ قلت: اللهم لا فأقبلت ودمعتها تنحدر وإذا هى مقاء برشاء ثرماء فقالت: فديتك! هذا أبو مالك الحجام ختن أبى منصور الحائك ! فقلت : عليك لعنة الله ! و الله ما ظننت إلا أنه سيد من سادات العرب .

قال أبو على : قريع الشول : فحلها ، و القريع : الفحل من الرجال الشجاع . و المقاء : الطويلة ، و الأمق : الطويل ، و المقق : الطول : و الثرماء : التى قد سقطت ثنيتاها .

و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا عبد الرحمن عن عمه الأعرابى.

يقر بعينى أن أرى من مكانه   ذرى عقدات الأبرق المتفاود

وأن أرد الماء الذى شربت به   سلمى و قد مل السرى كل واحد

و ألصق أحشائى ببرد ترابه   و إن كان مخلوطاً بسم الأساود

قال : و أنشدنى عبد الرحمن عن عمه :

أمس العين مامست يداها   لعل العين تبرأ من قذاها

يقول الناس ذو رمد معنى   و ما بالعين من رمد سواها

قال : و أنشدنا أبو بكر ولم يسم قائله و لا عزاه إلى أحد :

آل ليلى إن ضيفكم   ضائع فى الحى مذ نزلاً

أمكنوه من ثنيتها لم   يرد خمراً و لا عسلا

و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبي زيد :

إن كان غرك إطراقي أبا حسن — فالسيف يطرق حيناً قبل هزته

و الحية الصل لا تغرك هدأته — فكم سليم و موقوذ لنكرته

و أنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : انشدني عمي عن أبيه عن ى بن الكلبي و أنشدنا أبو بكر ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي :

يـــامر ياخـــير أخ نـــازعت در الحلمـــه

ياخـــير مـــن أوقـــد للأضيـــاف نـــاراً جحمـــه

يـا جـالب الخيـل إلى الخيـل تعـادى أضمـه

يـا قـائد الخيـل و مجتـاب الـدلاص الدرمـه

ســيفك لا يشــقى بــه إلا العســير الســنمه

جـاد علــى قــبرك غيــث مــن سمــاء رزمــه

ينبــت نـــوراً أرجــا جــرجــاره و الينمـه

قال أبو علي : الحلمة : طرف الثدي ، و الدرمة : اللينة التي لا حجم لها . و أضمة : غضابي يقال : أضم عليه أضما ، أي غضب عليه ، قال الأخطل :

أضمـا و هـز لهـن رمحـي رأسه — أن قـد أتيـح لهـن مـوت أحمر

و ضمد عليه يضمد ضمداً إذا هاج و غضب ، قال النابغة :

و مـن عصـاك فعـاقبه معـاقبة — تنهى الظلوم و لا تقعد على ضمد

و حرب حرباً إذا هاج و غضب ، و حربته أنا فهو محرب ، قال الهذلي :

كـأن محـرباً مـن أسـد ترج — ينـازلهـم لنـابيـه قبيـب

و أضم و أتضم ، قال الشاعر :

و مـؤتضـم علـى لأن جـدى — يبـذ جـدوده المتقـدمينـا

و يقال : أغد عليه إغدادا ، و أصله من غدة البعير فهو مغد ، و اسمغد فهو مسمغد إذا انتفخ من الغضب و ورم ، وضرم عليه ضرماً و أصله من اضطرام النار ، و احتدم عليه اذا تحرق عليه و أصله من احتدام الحر ، و أسف عليه يأسف قال تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) و عبد عليه يعبد و حشم عليه يحتشم حشماً ، و هؤلاء حشم فلان

للذين يغضب لهم . و أحشمه أنا و حشمته . و حكى الأصمعي : ان ذلك لمما يحشم بني فلان ، آآ يغضبهم . و كت يكت و أصله من كتيت القدر . قال رؤبة :

وطامح النخوة مستكت　　طأطأ من شيطانه التعتي

صكى عرانين العدى و صتي

و معض يمعض معضا . قال رؤبة :

و قد ترى ذا حاجة مؤتضا　　ذا معض لولا يرد المعضا

قال أبو عمر : وازمهرارا اذا غضب ، و أنشد :

أبصرت ثم جامعا قد هرا　　ونثر الجعبة و ازمهرا

و كان مثل النار أو أحر

و يقال : قد قرطب اذا غضب فهو مقرطب ، و أنشد :

اذا رآني قد أتيت قرطبا　　و جال جحاشة وطرطبا

و يقال : اصطخم ، قال ذو الرمة :

ظلت ثقالاً و ظل الجوب مصطخماً　　كأنه بتناهي الروض محجوم

و رزمة : مصوتة .

قال أبو علي : ومما أخترته و قرأته على أبي بكر بن دريد :

قوم اذا اشتجر القنا　　جعلوا القلوب لها مسالك

اللابسين قلوبهم　　فوق الدروع لدفع ذلك

و حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الرياشي عن ابن سلام عن غرير بن طلحة بن عبد الله عن عمه هند بن عبد الله قال : بينا أنا مع أبي بسوق المدينة اذ أقبل كثير ، فلما رأى أبي عدل إليه و تحدث معه ساعة . فقال له أبي : هل قلت بعدي شيئا يا أبا صخر ؟ قال هند : فأقبل علي و قال : احفظ هذه الأبيات ، و أنشدني :

و كا سلكا في صعود من الهوى　　فلما توافينا ثبت و زلت

و كا عقدنا عقدة الوصل بيننا　　فلما تواثقنا شددت و حلت

فواعجبا للقلب كيف اعترافه　　و للنفس لما و طنت كيف ذلت

و للعين أسراب اذا ما ذكرتها للقلب و سواس اذا العين ملت

وإنى و تهيامى بعزة بعدما ... تخيلت مما بيننا و تخلت

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت

فإن سأل الواشون فيم هجرتها ... فقل : نفس حر سليت فتسلت

مطلب حديث الغلام الذى سماه أهله حريقيا و ما وقع له مع الأصمعى و شرح غريب ذلك و حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : بينا أنا بحمى ضرية إذ وقف على غلام من أبى أسد فى أطمار ما ظننته يجمع بين كلمتين فقلت : ما اسمك ؛ فقال : حريقيص : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصا حتى حقروا اسمك ! فقال : إن السقط ليحرق الحرجة ؛ فعجبت من جوابه ، فقلت : أتنشد شيئاً من أشعار قومك ؟ قال : نعم أنشدك لمرارنا ؛ قلت : افعل ؛ فقال :

سكنوا شبيساً و الأحص و أصبحوا ... نزلت منازلهم بنوا ذبيان

و إذا يقال أوتيتم لم يبرحوا ... حتى تقيم الخيل سوق طعان

و إذا فلان مات عن أكرومة ... رقعوا معاوز فقره بفلان

قال : فكادت الأرض تسوخ بى لحسن إنشاده و جودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات فقال :

و ددت يا أصمعى أن لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب

قال أبو على : السقط : ما يسقط من الزند إذا قدح . و قال أبو عبيدة : فى سقط النار وسقط الولد وسقط الرمل ثلاث لغات : الضم و الفتح و الكسر و زناد العرب من خشب، و أكثر ما يكون من المرخ و العفار ، و لذلك قال الأعشى :

زنادك خير زناد الملو ... ك صادف منهن مرخ عفارا

إنما يؤخذ عود قدر سبر ويثقب فى وسطه ثقب لا ينفذ و يؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحدد طرفه فيجعل ذلك المحدد فى ذلك الثقب و قد وضعه رجل بين رجليه فيديره و يفتله فيورى ناراً ، فالأعلى زند ، و الأسفل زندة . و الحرجة : الشجر الكثيرالملتف و جمعه حراج و أحراج ، قال العجاج :

عاين حياً كالحراج نعمه ... يكون أقصى شله محرنجمه

يقول : عاين هذا الجيش الذى آتانا حيا : و يعنى بالحى قومه بنى سعد . و النعم : الإبل . و أقصى : أبعد . و شله : طرده . و محرنجمه : مبركه حيث يجتمع بعضه إلى بعض . و المعنى أن الناس إذا فوجئوا بالغارة طردوا إبلهم و قاموا هم يقاتلون . فإن انهزموا كانوا قد نجوا بها ؛ يقول : فهؤلاء من عزهم و منعتهم لا يطردونها . و لكن أن يكون أقصى طردهم أن ينيخوها فى مبركها ثم يقاتلوا عنها . و المعاوذ : الثياب الخلقان.

هـــوامـــش

١- راجع ترجمة القالى ، الزبيدى ، طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢، دار المعارف ١٩٨٤م ص١٢١، ١٨٥، ١٨٨ ، ابن الفرضى ، تاريخ العلم والعلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تحقيق عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٤م ج١ ص٨٣ والحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوى النباهة والشعر. تحقيق محمد بن تاويت الطبخى، القاهرة ١٩٥٣م:ص١٥٤ وابن خير الإشبيلى ، فهرسة ما رواه عن شيوخه ،ط٢ القاهرة- بيروت- بغداد ١٩٦٣م ص٣٩٥. والضبى بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربى ١٩٦٧م ص٢٥٦ وياقوت الحموى إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) نشر مرجليوث ،ط القاهرة ١٩٨٣م ج٧ ص٢٥ ومعجم البلدان ، ط دار صادر بيروت ١٩٩٥م (قاليقلا) والقفطى ، إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ دار الكتب المصرية ١٩٥٢م ج١ ص٢٠٤ وابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٢م ج١ ص٢٢٦ والحافظ الذهبى ، العبر فى أخبار من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠م ج٢ ص٣٠٤، واليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط١ حيدر أبا دالدكن ١٣٣٨هـ: ج٢ ص٣٩٥ والفيروز آبادى، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة تحقيق محمد المصرى ، الكويت ١٩٨٧م ص٦٩ والسيوطى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٦٥م: ج١ ص٤٥٣ والمقرى نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس ،ط دار صادر بيروت ١٩٨٧م :ج٤ ص٧٠-٧٤ وابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب بيروت

(د.ت): ١٨/٣، وعمر رضا كحالة . معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م :ج٢ ص٢٨٦
وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد
الحليم النجار .ط٥ دار المعارف ١٩٨٣م: ج٢ ص٢٧٧- ٢٨٠

٢- راجع محمد مصطفى أبو شوارب أبو اليزيد ، رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي ، الملتقى المصرى للإبداع والتنمية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ص١٣

٣- راجع ياقوت الحموى . معجم البلدان: (منا زجرد) أحمد كمال زكى ، أمالي القالي، تراث الإنسانية، م٥ ج١ ص٤٧

٤- راجع ياقوت الحموى معجم البلدان : (قاليقلا) وهي تقع في الشمال الغربى من نواحي منازجرد وهذه المدينة هي التي انتسب إليها أبو علي.

٥- السابق :(الموصل) وسليمان صائغ، تاريخ الموصل ن المطبعة السلفية ، مصر ١٩٢٣م ص ٥٢،٥١

٦- راجع في ترجمته الحافظ الذهبي، العبر في أخبار من غبر :١٣٤/٢ واليافعي: مرآة الجنان ٢٤٩/٢ وابن العماد : شذرات الذهب :٢٥٠/٢

٧- راجع ياقوت الحموى، معجم الأدباء: ٢٨/٧

٨- راجع المقرى: نفح الطيب ٧٤/٤ ، الحميدى ، جذوة المقتبس :١٥٥

٩- ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس : بيروت ١٩٦٧م ص٢٠٣

١٠- راجع: المقرى . نفح الطيب ٧٥/٤٢

١١- د.محمد مصطفى أبو شراب ، رواية الشعر وتفسيره قراءة في منهجية التراث العربي ص١٦ وما بعدها

١٢- ابن خير فهرسته ٣٢٥

١٣- د. محمد مصطفى أبو شراب . رواية الشعر وتفسير قراءة في منهجية التراث العربي ص ١٩، ٢٠

١٤- ابن خير ، فهرسته ص٣٢٥،٣٤٢

١٥- توفى سنة ٤٦٠ هـ . انظر فى قيامه على تدريس النوادر والأمالى ، ابن الأبار . التكملة ١/ ٣٩٣

١٦- من وفيات القرن السادس الهجرى . أنظر فى أخذ النوادر (الأمالى) عنه: ابن الآبار التكملة : ٢/٧١٧

١٧ - توفى سنة ٥٨٥ هـ أنظر فى وقوفه على النوادر (الأمالى) ابن الابار التكملة ١ / ٢٨٢

١٨ - توفى حوالى سنة ٦٠٦ هـ . أنظر فى مذكراته للأمالى . ابن الآبار . التكملة : ١ / ٩٩ .

١٩ - توفى سنة ٦١٠ هـ . انظر فى سماع النوادر (الأمالى) عليه ابن الابار . التكملة ٢ : /٥٩٢ .

٢٠-توفى سنة ٦٣٨ هـ . انظر فى قراءته النوادر (الأمالى) على شيخيه أبى محمد بن عبيد الله الحجرى ، و أبى القاسم عبد الرحمن ابن على بن عبد الرحمن الجذامى - الرعينى ، برنامج شيوخ الرعينى ، تحقيق إبراهيم شبوح . دمشق ١٩٦٢م : ص٤٤ ، ٤٥ .

٢١ - توفى سنة ٦٣٩هـ . انظر فى قراءته النوادر (الأمالى) على شيخه أبى عبد الله بن حميد ، الرعينى ، برنامج شيوخه : ٦٠ .

٢٢ - توفى سنة ٦٦٦ هـ انظر فى قراءته النوادر (الأمالى) على شيخه أبى بكر بن محمد بن طلحة بن محمد بن حزم الأموى ، المصدر السابق : ٧٩ .

٢٣ - الكتابان مطبوعان ، صدر أولهما ملحقا بطبعة دار الكتب المصرية من كتاب الأمالى ، و صدر الثانى بتحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى عام ١٩٣٦ م عن دار الكتب المصرية .

٢٤ - انظر : ابن الابار ، التكملة : ١ / ٥٦ .

٢٥ - انظر : ابن الأبار ، التكملة : ١ / ١٧٠

٢٦ - أنظر : المغزى ، نفح الطيب : ٢ / ٣١٦ ، و ابن الأبار ، التكملة : ١/ ١١١ الرعينى ، معجم شيوخه : ٩٠ .

٢٧ – انظر العينى . المقاصد النحوية فى شرح شواهد الألفية . ط بولاق على هامش خزانة الأدب : ١ / ٢٦ .

٢٨ – انظر ابن شاكر الكتبى . فوات الوفيات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥١ م جـ ٢ ص ٥٠١ .

٤- كتاب الكامل للمبرد (١٩٥ - ٢٨٤ هـ)

المبرد بكسر الراء المشددة و فتحها ، هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى . ولد فى عهد الخليفة العباسى المامون ما بين عامى ١٩٥ هـ و ٢٢٠ هـ و توفى فى عهد المعتضد ما بين عامى ٢٨٤ هـ ، ٢٨٦ هـ .

إن هذه البداية التى بدأنا بها ترجمة لحياة صاحب كتاب الكامل تنم على وجود اختلافات بين الرواة حول مولده و وفاته و اسمه ؛ كما يختلفون فى نسبه و فى سبب تسميته بالمبرد و هل المبرد بكسر الراء المشددة أم بفتحها ، و يسوقون الأخبار وراء هذه التسمية .

شيـــوخـــه : -

على الرغم من هذا الخلاف الشديد فإننا نستطيع بسهولة أن نقرر أنه كان من أهل البصرة بل من أئمة العلم فيها ، و يمكننا أيضاً إثبات عدد من مشايخه الذين تتلمذ على أيديهم : -

١ - أبو عثمان بكر بن محمد المازنى (ت٢٤٩هـ)

٢ - أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (ت ٢٤٨ هـ)

ق الجرمى (ت ٢٢٥ هـ)

٣ - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

تتلمذ المبرد على هؤلاء الشيوخ فى خير تلمذة حتى أصبح إمام أهل البصرة فى النحو بعد وفاة أستاذه أبى عثمان المازنى، ومن ثم أصبح له تلامذة كثيرون ذاع صيتهم بعد ذلك فى النحو واللغة ، منهم الزجاج والصولى ونفطويه النحوى وابن السراج والأخفش الأصغر وغيرهم.

مصنفـــاتـــه:

تعددت ثقافات المبرد ولم تقف عند حد النحو وإنما كان مثقفا موسوعيا فكان ذواقا للشعر حافظا الكثير منه كما كان فصيح اللسان بارع البيان وقد أنتجت هذه الثقافة عددا ضخما من الكتب ضاع كثير منها ولم يصلنا سوى أسمائها ونحاول فيما يأتى ذكر بعض هذه المصنفات:

أولا المصنفات الضائعة:

ذكر ابن النديم فى فهرسته كثيرا من هذه الكتب الضائعة ومنها :

١ - احتجاج القرآن

٢- آداب الجليس

٣- أسماء الدواهى عند العرب

٤- الإشتقاق

٥- إعراب القرآن

٦- البلاغة

٧- الخط والهجاء

٨- ضرورة الشعر

٩- طبقات النحويين البصريين وأخبارهم

ثانيا الكتب المنشورة:

١ - الكامل

٢- الفاضل

٣- المقتضب

٤- المذكر والمؤنث

٥- شرح لأمية العرب

كتاب الكامل(١)

"أما الكامل فهو أشهر كتب المبرد وأجلها شأنا ٠٠٠ والكتاب مجموعة من المختارات الأدبية يهتم من خلالها المبرد بشرح المشكلات اللغوية والنحوية التى تثيرها تلك النصوص وإلى جانب تلك المختارات الأدبية يضم الكامل مادة غزيرة فى التاريخ واللغة والأدب والنحو قدم المبرد لكتاب "الكامل" بمقدمة قصيرة توضح الغرض من تأليفه الكتاب فيقول: هذا الكتاب ألفناه بجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة وكرسالة

بليغة . والنية أن نفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا حتى يكون الكتاب بنفسه مكتفيا عن أن يرجع إلى أحد فى تفسيره مستغنيا "

وهكذا يتضح منذ المقدمة اتجاه المؤلف فى حرصه على الإحاطة من كل شئ بطرف فالمؤلف موسوعى الثقافة وكذلك كتابه.

وبعد هذه المقدمة القصيرة نقرأ فى الكتاب أحاديث متفرقة لا صلة بينها فنرى كلمة لأبى بكر فى مرضه وعهده بالخلافة لعمر وأول خطبة خطبها عمر ورسالة عمر فى القضاء لأبى موسى وكتاب عثمان إلى على بن أبى طالب حين أحيط به ثم معاتبة عثمان عليا وكلمة على حين بلغه أن خيلا لمعاوية وردت الأنباء وقتلوا عامله حسان بن حسان.

وبعد ذلك تبدأ: أبواب الكتاب وهى أبواب لا ينتظمها غرض واحد ولهذا عنونت بكلمة " باب" فقط وذلك باستثناء أربعة واضح تحدد لأبوابها غرضيا فى عنوانها فالباب الثامن والأربعون " باب من أخبار الخوارج والباب الخمسون هذا باب النسب من المضاف والباب الواحد والخمسون باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ " والباب الثالث والخمسون " باب ذكر الأذواء من اليمين فى الإسلام " .

وقد عرض المبرد فى كتابه لعديد من المسائل النحوية التى كانت مثار خلاف بين البصريين والكوفيين كما عرض لبعض القضايا النقدية التى شغلت البلاغيين فى عصره كقضية اللفظ والمعنى وقضية القديم والجديد وقضية السرقات الشعرية إلى جانب ما ضمنه كتابه من حديث عن أدب الخوارج ورسائلهم التى تبادلوها فى خلال حروبهم مع الخلفاء حتى أنه يعد مرجعا مهما فى هذا الموضوع.

ويتفق الباحثون الآن على أن كتاب " الكامل " الذى أمامنا لم يؤلفه المبرد وحده وإنما شاركه فيه تلميذه الأخفش الذى روى عنه الكتاب فكثيرا ما نطالع فى الكتاب تعقيبات وشروح مصدرة بعبارة قال أبو الحسن وهو أبو الحسن على بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥هـ) أما ما ذكره المبرد فنراه مصدرا بعبارة " قال أبو العباس ط.

وعلى كل فكتاب الكامل للمبرد يعد مصدرا أساسيا للتراث العربى باعترافى القدماء واهتمامهم واهتمام المحدثين كذلك فإن ابن خلدون فى مقدمته يعده ضمن أربعة كتب أساسية فى البحث [أدب الكتاب لأبن قتيبة- الكامل للمبرد- البيان والتبيين للجاحظ- النوادر لأبى القالى] كما اهتم بشرحه ابن السيد البطليوسى ٤٤٤ هـ وهشام بن أحمد الوقش ٤٨٩هـ ومحمد بن يوسف السرقسطى ٥٣٨هـ.

وفى العصر الحديث شرحه الشيخ سيد بن على المرصفى فى ثمانية أجزاء وأسماه " رغبة الآمل فى كتاب الكامل" وطبع هذا الكتاب فى مصر ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م).

ولأهمية هذا الكتاب فى البحث والدراسة نشر أكثر من نشره فى مصر والخارج فطبع فى ألمانيا فى ليبسك سنة ١٨٦٤م مع مقدمة وفهارس وطبع فى سنة ١٢٨٦ بالمطبعة العامرة بالقاهرة وفى سنة ١٣٠٨هـ بالمطبعة الخيرية بالقاهرة بالمطبعة الخيرية بالقاهرة وفى سنة ١٢٨٦هـ بالأستانة وأعيد طبعه فى ليبسك ١٨٨١م وفى عام ١٨٩٢ وفى عام ١٣٢٣هـ طبع فى مطبعة التقدم بالقاهرة وفى ١٣٥٥ طبع فى مصر فى مطبعة الحلبى بتحقيق الدكتور زكى مبارك وأحمد شاكر ثم طبعته المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة عام ١٩٦٣.

نموذج من كتاب الكامل للمبرد

"أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب"

و مما يؤثر من هذه الآداب و يقدم قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خطبة خطبها – حدثنا العتبى قال : لم أر أقل منها فى اللفظ ، و لا أكثر فى المعنى – حمد الله و أثنى عليه و هو أهله ، و صلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيها الناس ، إنه و الله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، و لا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه . ثم نزل . و إنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الإختيار . بما عضده به من الفعل المشاكل له :

[قال أبو الحسن : قد روينا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما . و هو الصحيح] (١)

[رسالة عمر فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى]

قال أبو العباس : ومن ذلك رسالته فى القضاء إلى أبى موسى الاشعرى : وهى التى جمع فيها جمل الأحكام ، و اختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها .

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك(١) وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييئس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد ومجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرا بالبينات والأيمان وإياك والغلق الضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق ليعظم(٢) الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت به نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنوك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

قال أبو العباس: قوله:" آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك "، يقول: سو بينهم وتقديره: اجعل بعضهم أسوة بعض والتأسى من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل

بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده، قالت الخنساء: فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن أعزى النفس عنه بالتأسي

يذكرني طلوع الشمس صخرا وأذكره لكل غروب شمس

تقول : أذكره في أول النهار للغارة وفي آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت:

وإن الألى بالطف من آل هاشم تآسوا فنسوا للكرام التآسيا (١)

وقوله:" حتى لا يطمع شريف في حيفك " يقول : في ميلك معه لشرفه وقوله:" فيما تلجلج في صدرك " يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فيه فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى، يقال للعيي : لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان : قال زهير:

تلجلج مضغة فيها انيض أصلت فهي تحت الكشح داء

وقوله:" أنيض " أي لم تنضج(١) ومن أمثال العرب : الحق أبلج والباطل لجلج؛ أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا. وقوله:" أو ظنينا في ولاء أو نسب" فهو المتهم وأصله " مظنون" وهي ظننت التي تتعدى إلى مفعول واحد، تقول: ظننت بزيد وظننت زيدا أي اتهمت ومن ذلك قول الشاعر- أحسبه عبد الرحمن بن حسان-:

فلا ويمين الله ما عن جناية هجرت ولكن الظنين ظنين (٢)

وفي بعض المصاحف:[وما هو على الغيب بظنين](٣) وإنما عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم:" ملعون ملعون من انتمى إلى غير أبيه أو ادعى على غير مواليه " فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره لشهادة موضعا. وقوله:" ودرأ بالبينات والأيمان" إنماه هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ادرءوا الحدود بالشبهات " وقال الله عز وجل:[قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين](٤) وقال:[فان دارأتم فيها]٥ أي تدافعتم. وأما قوله: " وإياك والغلق والضجر " فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق: رجل غلق

وأصل ذلك من قولهم(١): غلق الرهن أى لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا،قال زهير:

وفارقتك بهن لا فكاك فيه ... يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله:" ومن تخلق للناس " يقول: أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته وقوله:" تخلق " يريد أظهر(٢) مثل تجمل يريد أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر إنما تأويله الإظهار أى أظهر جبرية وإن شئت جبروتا وإن شئت جبروتى [وإن شئت جبروة] (٣) ومن كلام العرب على هذا الوزن: رهبوتى خير لك من رحموتى : أى(٤) ترهب خير لك من أن ترحم (٤) قال أبو العباس وأنشدونا عن ابى زيد(٥):

يأيها المتحلى غير شيمته ... إن التخلق يأتى دونه الخلق (٦)

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث ... غلا أخو ثقة فانظر بمن تثق

قال : وأنشدتنى أم الهيثم الكلابية:

ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها(١)

وقال ذو الإصبع العدوانى (٢):

كل امرى راجع يوما لشيمته ... وإن تمتع أخلاقا إلى حين

وأما قوله :" ثواب " فاشتقاقه من ثاب يثوب إذا رجع وتأويله ما يثوب إليك من مكافأة الله وفضله.

هـــــوامـــــش

١ - راجع ابن الأنبارى (أبـو البركـات عبـد الرحمـن بن محمد . نزهة الالباء فـى طبقـات الأدبـاء ص ٢٧٩ ابن النديـم (محمـد بـن اسـحاق) الفهرسـت ص ٥٩ إبراهيم الإبيارى .

الكامل للمبرد (دراسة بمجلة تراث الإنسانية - المجلد الثالث - العدد ١)

أبو الطيب ، عبد الواحد بن على : مراتب النحويين .

و ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٩٥ .

الفصل الرابع

مصادر الشعر العربى القديم

لقد ارتحل الشعر العربى القديم عبر تاريخه رحلات عديدة فقد كانت رحلته الأولى من الجاهلية حتى مطلع القرن الثانى الهجرى رحلة شفوية على ألسنة الرواة مما عرضه للضياع أحيانا والوضع أحيانا أخرى وليس معنى هذا أنه لم يكتب مطلقا بل إننا نستطيع الجزم بأن شعرنا العربى القديم قد كتب منذ العصر الجاهلى فى صحائف متفرقة أو فى دواوين مجموعة وقد اعتمد علماء الطبقة الأولى من الرواة على هذه المدونات وإنهم قد اعتمدوها مصدرا من مصادر تدوينهم لهذه الدواوين التى رواها عنهم تلاميذهم.(١)

ونحاول فيما يأتى الإشارة إلى أهم مصادر الشعر القديم المكتوبة من دواوين مفردة وكتب الاختيارات الشعرية العامة ودواوين جمعت شعر القبائل ...إلخ.

أولا الدواوين المفردة:

من كتب الشعر التى عنى العلماء بجمعها وشرحها وتحقيقها ونشرها وطباعتها تلك الدواوين التى جمعت بين دفتيها شعر شاعر بعينه مثل امرئ القيس وديوان زهير بن أبى سلمى وديوان عنترة وديوان حسان بن ثابت وغيرها .

ديوان امرئ القيس:

تعددت روايات هذا الديوان وكثرت نسخه، ولكنها فى معظمها ترجع إلى أصلين وهما رواية الأصمعى البصرى ورواية المفضل الكوفى وتجدر الإشارة إلى أن ما جاء فى بعض النسخ من القصائد الزائدة على هاتين الروايتين مما جمعه بعض الجامعين فقليل جدا منها مروى عن أبى عمرو الشيبانى أما الباقى فقد نص كثير منه بأنه مخول لامرئ القيس وأن صحة نسبته إلى فلان أو فلان من الشعراء وقد أطلعنا الأصمعى نفسه على مصادره التى تلقى عنها ديوان امرئ القيس وذلك أن أبا حاتم قال: " قال الأصمعى: كل شئ فى أيدينا من شعر امرئ فهو عن حماد الرواية إلا نتفا سمعتها من الأعراب وأبى عمرو بن العلاء "(٢)

ومن الثابت أن الأصمعى أخذ روايتى حماد وأبى عمرو فنقدهما ونقحهما وكان نتيجة ما قام به الأصمعي من نقد وتحقيق ونخل وتمحيص لما استقاه من شعر امرئ القيس أن جاءت روايته لديوانه في سبع وعشرين قصيده ومقطعة فقط وهى أقل الروايات الموجودة كافة.

أما الفضل الضبى فيبدو كذلك روايته متصلة بالمدونات التى وصلت إليه من العصور السابقة وستجد هناك أن الفضل قد اختار قصائده من الدواوين المدونة واستخرجها من الكتب التى كانت فى مكتبته وأن كان يعوزنا النص الصريح على ذلك فى روايته لديوان امرئ القيس ذاته إلا أننا نحمل هذا على ذلك.

ومع أن الكوفيين عامة كانوا أكثر توسعا فى المصادر وأكثر تساهلا وتجاوزا فى قبول الروايات غير أن المفضل بن محمد كان يأخذ نفسه بمثل المنهج البصرى من التضييق والتحرى ومن أجل هذا ودقة البصريون أنفسهم وأخذوا عنه وكان من نتيجة تضييقه وتحريه أن جاءت روايته لديوان امرئ القيس فى أربعين قصيدة ومقطعة وهى أكثر من رواية الأصمعى ولكنها تقل كثيرا عما جاء النسخ التى جمعت ديوان امرئ القيس المختلفة- وأكثرها روايات كوفية- مثل نسخة السكرى ونسخة النحاس .

وإننا فى نهايه هذا العرض حول روايتى الأصمعى والمفضل نستطيع إجمال بعض الملاحظات اهمها :

١- إن المفضل الكوفي والأصمعى البصرى قد اتفقا معا على رواية عشرين قصيدة ومقطعة لامرئ القيس .

٢- نجد أن هذه القصائد العشرين التى اتفق على روايتها المفضل والاصمعى قد برئت من طعن الرواة الآخرين وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها .

ثانيا دواوين القبائل:

لقد كثرت هذه الكتب التى تجمع شعر القبائل كثرة هائلة، وقد شاع ذكرها فى كتب الفهارس(٣) إذ ذكر الآمدى ستين ديوانا من دواوين القبائل ومنها: أشعار الأزرد، وكتاب باهلة، وحمير، وبنى سليم ، وبنى هاشم وغيرها .

ولم ينسب الأمدى شينا من هذه الدواوين إلى جامع أو صانع من الرواة العلماء بل أرسلها هكذا غفلا إلا ديوانين ما منها،الأول: أشعار بني تغلب والثاني أشعار الرباب (٤).

أما أبو الفرج اسحق النديم (المتوفى سنة ٣٨٥) فقد ذكر في فهرسته ثمانية وعشرين ديوانا من دواوين القبائل وكلها منسوبة إلى صانعها وهو في أكثرها أبو سعيد السكرى ما عدا ديوانا واحدا منها نسبة إلى ابن الكلبي ومنها أشعار بني أسد وأشجع وبني حنيفة وبنمي ربيعه وطئ وبغي عدى وغيرها .

ومع كل هذا الجهد الخصب الذي بذله كثير من العلماء الرواة في جمع أشعار القبائل مع كثرت الدواوين التي ذكرت المصادر أن هؤلاء العلماء قد صنعوها فقد قال بن قتبة :" والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراءهم عدد واقف ولو أنفد عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرقه ولا قصيده إلا رواها٠٠٠"(٥)

وعلى الرغم من هذه الكثرة التي لم يحصها الرواة فإننا لا نجد من ذلك كله سوى أثر واحد باق من بين هذه الأشعار كلها التي جمعت للقبائل ؛ أعني بهذا الأثر الوحيد شعر الهزليين في حين ان الأمدى عندما ذكر لنا ستين ديوانا أقر أنه رآها جميعا لذا صدق أبو عمر وبن العلاء :" ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ولو جاءكم واقرا لجاءكم علم وشعر كثير"(٦)

أما ديوان هذيل سالت فقد وصلنا ناقصا إذ لم يجمع كل شعراء هذيل كما لم يذكر جميع شعرهم ويؤكد هذا ما ياتي:

١- عندما سئل حسان بن ثابت عن أشعر الشعراء قال: هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعرا أو نحو ذلك (٧).

ومعنى هذا ان شعراء هذيل كانوا يقاربون الأربعين شاعرا ومعنى ما قاله حسان أنه يسمى كل من قال بيتا أو بيتين شاعرا. وهذا يعني أن شعرهم لم يصلنا

كاملا وقد يستبعد حسان حسا هـؤلاء المقلين مـن بين الشعراء وهـذا يعنـى أن بعض الشعراء من هذيل لم يصلنا شئ من شعرهم بأثره.

٢- روى عن الإمام الشافعى أنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها و غريبها ومعانيها (٨) والذى مـن بين آيدينا مـن هـذا الشعر فـى أطـول رواياتـه لا يكاد يبلغ ثلاثة آلاف بيت.

٣- إن بعض العلماء قد استدركوا ما فات السكرى ذكـره مـن شعر هذيـل ومنهم أبـو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ الـذى ألـف كتـاب التمـام فـى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى رحمه الله وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك(٩).

طبعات ديوان الهذليين:

طبع ديوان الهذليين طبعتين إحداهما فى أوربا والثانية فى دار الكتب:

(أ)الطبعة الأوربية :

١- شرح أشـعار الهذليين صنعة أبـى سـعيد الحسن بـن الحسين السـكرى طبعـن فـى لندن سنة ١٨٥٤م

٢- أشعار الهذليين طبعت فى برلين سنة ١٨٨٤م.

٣- ديوان أبى ذؤيب حققه المستشرق يوسف هل وطبعه سنة ١٩٢٦م.

٤- أشعار ساعدة بن جؤية وأبى خراش والمتنخل وأسامة بن الحـارث نشرها كذلك يوسف هل وطبعها سنة ١٩٣٣م.

(ب) طبعة دار الكتب:

وأما طبعة دار الكتاب فمأخوذة من نسخة خطيـة محفوظـة فـى الـدار وهـذه النسخة مختلطة متداخلة وشرحها مختصر موجز.

ثالثا كتب المختارات الشعرية

لقد وصلنا كثير من تلك الكتب التى جمعت أشعار العرب غير مقيدة بشاعر بعينه ولا قبيلة بعينها من ذلك ما يأتى:

١ – المفضليات:

إن جامع هذا الكتاب هو المفضل بن محمد الضبى راس علماء الكوفة في عصره (١٠)

والمفضليات أقدم مجموعة شعرية وصلتنا إذ كان أول من صنع ذلك هو المفضل الضبى ، اللهم الا ما كان من أمر المعلقات والمفضليات تجمع بين دفتيها ستا وعشرين ومائة قصيدة (١٢٦) أضيف اليها أربع قصائد وجدت في احدى النسخ لسبعة وستين شاعرا منهم ستة شعراء إسلاميون وأربعة عشر مخضرمون والباقون وهم سبعة وأربعون شاعرا جاهليون لم يدركوا الإسلام .

على الرغم من أن كثير من تلاميذ المفضل رووا عنه قصائد المفضليات فوقع فيها اضطراب كبير فإننا نستطيع التأكيد على أن أفضل هذه الروايات واصحها هي التى رواها أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى تلميذ المفضل وربيبه وقد قال ابن النديم في ذلك: " هي مائة وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأفر بحسب الرواية عنه والصحيحة التى رواها عنه بن الأعرابى٠٠٠ "(١١) ولم يكن المفضل الضبى بارعا في شرح الشعر ولا ضالعا في علم النحو ولا عارفا بالغريب(١٢) لذا لم يشرح المفضل مختاراته بل اكتفى بمجرد روايتها وأما ما على المفضليات من شرح إنما صنعه أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى (المتوفى سنة ٣٠٤) وقد أخذها إملاء مجلسا مجلسا عن أبى عكرمة عامر بن عمران الضبى (المتوفى سنة ٢٥٠) وأخذها أبو عكرمة عن ابن الأعرابى (المتوفى سنة ٢٣٢) ولم يكتف أبو محمد بن الأنبارى بذلك وإنما كان يرجع إلى علماء آخرين مثل : أبو عمرو بندار الكوفى وأبى بكر العبدى وأبى عبد الله محمد بن رستم وأبى الحسن بن على بن سنان الطوسى فيسألهم عن الشئ بعد الشئ منها ثم يعرضها بعد ذلك عل أبى جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح (المتوفى سنة ٢٧٣) ثم يقرؤها تلامذته حتى تتم حلقة الرواية دون انقطاع (١٣). ويقال إن المفضليات أمليت على الأمير العباسي محمد بن أبى جعفر المنصور الذى أصبح فيما بعد الخليفة المهدى آملاها عليه المفضل لضبى آخذا بنصيحة المنصور(١٤).

شروح المفضليات وطباعتها:

لقد تعددت شروح المفضليات وطباعتها المحققة على النحو الآتى:

١- شرح الانبارى وقد سبق الحديث عنه

٢- شرح ابن النحاس وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوى المصرى ت ٣٣٨هـ

٣- شرح أبى على المرزوقى (ت ٤٢١)

٤- شرح أبى زكريا يحى التبريزى (ت ٥٠٢)

٥- شرح أبى الفضل الميدانى (ت ٥١٨)

أما بالنسبة لطبعات الكتاب فقد طبع أكثر من مرة على النحو الآتى :

١- طبع بمصر لأول مرة سنة ١٣٢٤هـ بتعليق أبى بكر بن عمر داغستانى المدنى طبعة السندوبى سنة ١٣٤٥هـ

٢- طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون

٢- الأصمعيات:

الأصمعيات من المجموعات الشعرية ذات الأهمية الخاصة ، وتنسب إلى جامعها إبى سعيد عبد الملك بن قريب المشهور بالأصمعى (١٥) وقد كان الأصمعى راوية بصريا بعكس المفضل الكوفى ومع هذا حدث تداخل بين كل من المجموعتين كما أشار إلى ذلك الأستاذان شاكر وهارون فى مقدمة الطبعة الأخيرة للمفضليات ومقدمة الطبعة الخامسة للأصمعيات صدرت سنة ١٩٧٩ كما يذكر المحققان.

وتحوى الأصمعيات اثنتين وتسعين قصيدة ومقطعة لواحد وسبعين شاعرا منهم ستة شعراء إسلاميون وأربعة عشر شاعرا مخضرمون وأربعة وأربعون جاهليون وسبعة مجهولون ليست لهم تراجم .

إن هذا الإحصاء الذى أوردناه يأتى طبقا للطبعة المصرية بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر وأما الطبعة الاوربية بتحقيق وليم

بن الورد فليس فيها إلا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة وآخر ما نقوله عن الأصمعيات أن الاثنتين وتسعين قصيدة ومقطعة تضم تسعة

وثلاثين وأربعمائة وألف بيت (١٤٣٩) فـي حين أن المفضليات التـي تجمـع ثلاثين ومائة قصيدة (١٣٠) تضم أربعة وستين وستمائة وألفى بيت(٢٦٦٤).

٣ - جمهرة أشعار العرب: -

إن مؤلف هذا الكتاب و جامع أشعاره هو أبو زيد محمد بن ابى الخطاب القرشى ، لكنه راوية مغمور لا يكاد الدارسون يقعون له على ترجمة فى المصادر المختلفة ، و كان أول من أورد له ذكراً هو ابن رشيق فى عمدته (١٦) ثم اعتمد البغدادى و السيوطى على ما ذكره ابن رشيق فى أغلب الظن (١٧) ، و يرجح المحدثون من الباحثين أنه كان من رجال القرن الثالث أو الرابع الهجرى على إختلاف فيما بينهم ، و قد وردت فى الجمهرة - لتأخر تأليفها - ما يرد فيما سبقها من المجموعات الشعرية الأخرى .

طبعاتها : -

طبع هذا الكتاب ثلاث مرات وكلها من اصل واحد : -

١ - طبعة بولاق سنة ١٣١١ هـ .

٢ - طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٣١ هـ .

٣- طبعة المطبعة التجارية .

منهج أبى زيد فى الجمهرة : -

١ - بدأ كتابه بمقدمة طويلة نسب فيها شعراً لأدم و إبليس و الشياطين مما يشير إلى تأصله بسيرة بن إسحق و لسنا فى حاجة لإثبات خطأ هذا الفعل .

و ذكر أخبار لبعض شعراء الجاهلية و بعض الأعراب و بعض ملوك بنى أمية و ذلك فى فصول قصيرة .

٢ - قسم القصائد المختارة إلى سبعة أقسام فى كل قسم سبع قصائد و بذلك يبلغ مجموع قصائد الجمهرة (٤٩) تسعاً و أربعون قصيدة .

٣ - أطلق أبو زيد على مجموعة من القصائد تمثل طبقة من هذه الطبقات اسما خاصاً : فالطبقة الأولى لأصحاب المعلقات ؛ و الثانية لأصحاب المجمهرات ، و الثالثة لأصحاب المنتقيات ، و الرابعة لاصحاب المذهبات ؛ و الطبقة الخامسة لأصحاب المراثى ، و الطبقة السادسة لأصحاب المشوبات . و هى التى شابها الكفر و الإسلام ، و أصحابها المخضرمون . و السابعة لأصحاب الملتحمات و هى الملتحمة فى نظمها .

٤ - اختلف منهجه . فهو على مدار الكتاب ينتقى قصائده على أساس الجودة إلا فى موضع واحد الذى خصصه على أساس الموضوع لشعراء المراثى ، و أهمل من بينهم الخنساء .

على هذا الأساس لا يستطيع الدارسون إغفال ما لهذا الكتاب من أهمية كبرى فى حفظ التراث الشعرى و تصوير أحوال الشعراء على إختلاف مشاربهم و تصويرهم العصر الذى عاشوا فيه (١٨) .

٥ - حماسة أبى تمام : -

تعددت كتب هذا النوع من المجموعات الشعرية و كثر جامعوها ؛ و منها حماسة البحترى . و حماسة بن الشجرى . و حماسة الخالدين التى تعرف أيضاً بالأشباه النظائر ، و الحماسة البصرية التى جمعها صدر الدين ابن أبى الفرج بن الحسين البصرى (ت ٦٥٩ هـ) و الحماسة المغربية لجامعها يوسف بن محمد البياس التونسى (ت ٦٥٢ هـ)

و تأتى حماسة أبى تمام فى مقدمة هذه المجموعات و هى من أشهرها ، و صاحبها هو الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائى (ت ٢٣١ هـ)

و قد بنى أبو تمام ديوان الحماسة و هو أول الأبواب و أكبرها و به سميت المجموعة كلها ، و باب للمراثى ، وباب للأدب و يقصد به تهذيب السلوك و حسن التربية ، و باب للنسب ، و باب للهجاء ، و باب للأضياف و المديح ، وباب للصفات ، و باب للسير و النعاس ، و باب للملح ، و باب لذمة النساء . ليس لحماسة أبى تمام رواية أخذ هو بها عمن سبقه و لا رواية رواها عنه تلاميذه . و إنما نقلها أبو تمام من الكتب

و المدونات ، لذا ظل ديوان الحماسة مطوياً زمناً طويلاً إلى أن أتيح له أن ينشر و يظهر بعد وفاة أبى تمام (١٩) .

وقد طبعت حماسة أبو تمام عدة مرات منفردة ، و مرات أخرى بشروحها على النحو الأتي : –

١ –طبعت بشرح التبريزى أول مرة مصحوبة بترجمة إلى اللغة اللاتينية فى أوربا بعناية المستشرق الألمانى فرايتاج فى منتصف القرن التاسع عشر.

٢ – طبعت مع الشرح التبريزى فى مطبعة بولاق بمصر فى أربعة أجزاء سنة ١٢٦ هـ .

٣ – طبعت بشرح المرزوقى بمصر فى مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر سنة ١٩٥١ م بتحقيق الأستاذين / أحمد أمين ، وعبد السلام هارون.

هذا و لا يسعنا فى نهاية هذا الفصل إلا أن نشير إلى أن ما ذكرناه لا يمثل سوى قطرة من خضم عظيم ذخر بلآلئ البيان و جواهر المعانى من شعر العرب الموروث .

هــــوامـــــش

١ - د . ناصر الدين الأسد . مصادر الشعر الجاهلي و قيمتها التاريخية . ط ٥ . دار المعارف ١٩٧٨ م ص ٤٨٢ و ما بعدها و قد تتبع الدكتور / ناصر الدين الأسد في هذا الكتاب القيم مصادر الشعر الجاهلي و درسها دراسة مستفيضة واعية .

٢- مراتب النحويين . ورقة ١١٦ - ١١٧ ، و المزهر ٢ : ٤٠٦ .

٣ - ابن النديم الفهرست . و الآمدى المؤتلف و المختلف .

٤ - السابق ص ٨٣ ، ٢٢

٥- ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، ١ : ٤ .

٦- طبقات الشعراء ص ٢٣

٧ - ديوان الهذليين . ط دار الكتب ٢ : ٣٨ .

٨ - ابن حجر : توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس ، المطبعة العامرة ببولاق سنة ١٣٠١ ، ص ٥٩ .

٩- ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ص ١٢ ، ١٠٩ .

١٠- راجع ترجمة المفضل الضبي أبي العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن ضبه ، في ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق د . ثروت عكاشة ، ط ٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ م ص ٥٤٥ ، الزبيدى . طبقات النحويين و اللغويين ص ١٩٣ ، ابن النديم . الفهرست ص ١٠٢ ، السيوطى . بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي ص ٢٠١ ، القفطى . إنباه الرواة على أنباه النحاه ص ١١٦ ، ابن الأنبارى . نزهة الألباء ص ٦٧ ، ٦٩ .

١١ - ابن النديم الفهرست ص ١٠٢ .

١٢ - راجع أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين ص ١١٤ ، ١١٥ .

١٣- د . ناصر الدين الأسد . مصادر الشعر الجاهلى و قيمتها التاريخية ، ص ٥٧٤ و ما بعدها .

١٤- راجع ذيل الأمالى .

١٥- راجع ترجمة الأصمعى الذى ولد ١٢٢ أو ١٢٣ هـ و توفى فى ٢١٤ أو ٢١٦ أو ٢١٧ هـ فى القفطى . أنباه الرواه على أنباه النحاه .ص ١٩٧ ، ابن الأنبارى . نزهة الألباب فى طبقات الأدباء ص ٧٤٢ . الزبيدى طبقات النحويين و اللغويين ص ١٦٧ : ١٧٤ ، ابن النديم . الفهرست ص ٨٢ ، أبو سعيد السيرافى . أخبار النحويين البصريين و مراتبهم و أخذ بعضهم عن بعض ص ٧٢ : ٨٠ ، أبو الطيب اللغوى ص ١٤٧ ، ابن قتيبة . المعارف ص ٥٤٣ ، السيوطى . بغية الوعاة فى طبقات اللغويين و النحاه ص ١١٢ ، ١١٣ .

١٦- ابن رشيق . العمدة جـ ١ ٧٨ ، ٧٩ .

١٧- الغدادى . خزانة الأدب ١ / ١٠ ، ٦١ ـــ ٢ / ٥٥ - ٤ / ١٦٣ ، ٥٣ ، ٥٤٥.

١٨- راجع د . عز الدين اسماعيل . المصادر الأدبية و اللغوية فى التراث العربى ص ٨٦ .

١٩- راجع المسعودى . مروج الذهب ٤ / ٧٤ و المرزوقى . شرح ديوان الحماسة ١٢ / ٢٥٥

الفهرس

